مجلة

المنار

المجلد العاشر

الجزء السابع

إهداء من

شبكة الألوكة

www.alukah.net

تابعوا ...

الجديد و الحصري

NEW & EXCLUSIVE

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

www.alukah.net من شبكة الألوكة

بشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الملك من يشاء من يؤتي الملك فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر رجب سنة ١٣٢٥ — آخره الاحد ٨ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٧ ﴾

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نموذج من انجيل برنابا

(الهوامش التي علاماتها حروف مأخوذة من النسخة الطليانية يظهر ان واضعها يزعم انها لما وافق هذا الانجيل فيه القرآن والهوامش التي علاماتها أرقام بين أقواس فهي لما وافق فيها العهد العتيق والعهد الجديد وهي من النسخة الانكليزية)

الفصل السادس عشر (٣)

(التعاليم العجيبة التي علمها لتلاميذه بخصوص الارتداد من الحياة الشريرة)

وجمع يسوع ذات يوم « تلاميذه وصعد الى الجبل [١] ٢ فلما جلس هناك دنا منه التلاميذ ففتح فاه وعلمهم قائلا ٣ « عظيمة هي النعم التي أنعم بها الله [ت] علينا فترتب علينا من ثم ان نعبده باخلاص قلب ٤ وكما ان الخمر الجديدة توضع في أوعية جديدة [٢] هكذا يترتب عليكم ان تكونوا رجالا جدداً اذا أردتم ان تعوا التعاليم الجديدة التي ستخرج من فمي ٥ الحق أقول لكم كما انه لا يتأتى للانسان ان ينظر بعينه السماء والارض معاً في وقت واحد فكذلك يستحيل عليه ان يحب الله والعالم [ث]

٦ لا يقدر رجل أبداً ان يخدم سيدين [٣] أحدهما عدو للآخر [ج] لأنه اذا أحبك أحدهما ابغضك الآخر ٧ فكذلك أقول لكم حقاً انكم لا تقدرون ان تخدموا الله والعالم ٨ لان العالم موضوع في النفاق والجشع والخبث [٤] ٩ لذلك لا تجدون راحة في العالم بل تجدون بدلا

(ا) الحمد لله (ب) سورة ترك الدنيا (ت) نعمة الله كبر (ث) متلازمان في بني آدم عينان لكن لا يمكن ان ينظر الى السماء والارض في حالة واحدة وكذلك لا يمكن ان تجمع محبة الله ومحبة الدنيا في حالة واحدة منه (ج) لا يمكن العبد ان يخدم سيدين عدوين أحدهما الآخر وكذلك لا يمكن ان يخدم العهد الدنيا والله تعالى منه

(١) ت ٥:١ (٢) مت ٩ : ١٧ (٣) مت ٦ : ٢٤ ولو ١٦ : ١٣ (٤) ١ يو ٥ : ١٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منها اضطهاداً وخسارة ١٠ اذاً فاعبدوا الله واحتقروا العالم ١١ إذ مني تجدون راحة لنفوسكم [١] ١٢ اصيخوا السمع لكلامي لاني أكلمكم بالحق

١٣ طوبى للذين ينوحون على هذه الحياة لانهم يتعزون [٢]

١٤ طوبى للمساكين [٣] الذين يعرضون حقاً عن ملاذ العالم لانهم سيتنعمون بملاذ ملكوت الله

١٥ طوبى للذين يأكلون على مائدة الله [٤] لان الملائكة ستقوم على خدمتهم

١٦ أنتم مسافرون كسياح ١٧ أيتخذ السائح لنفسه على الطريق قصوراً وحقولا وغيرها من حطام العالم ١٨ كلاّ ثمّ كلاّ ولكنه يحمل أشياء خفيفة ذات فائدة وجدوى في الطريق ١٩ فليكن هذا مثلا لكم ٢٠ واذا أحببتم مثلا آخر فاني أضربه لكم لكي تفعلوا كلّ ما أقوله لكم

٢١ « لا تثقلوا قلوبكم بالرغائب العالمية قائلين من يكسونا [٥] أو من يطعمنا ٢٢ بل انظروا الزهور والاشجار مع الطيور التي كساها وغذّاها الله (ا) ربنا بمجد أعظم من كل مجد سليمان ٢٣ والله (ب) الذي خلقكم ودعاكم الى خدمته هو قادر ان يغذّيكم ٢٤ الذي أنزل المن [٦] من السماء (ت) على شعبه اسرائيل في البرية أربعين سنة و حفظ ثوابهم من ان تعتق أو تبلى [٧] ٢٥ أولئك الذين كانوا ست مئة وأربعين ألف رجل [٨] خلا النساء والاطفال ٢٦ الحق أقول لكم ان السماء والارض

(ا) (الله رازق وخالق الله سلطان (ب) الله قدير الله رازق (ت) منوا وسلوان ذكر منه

(١) مت ١١: ٢٩ (٢) مت ٥: ٤ (٣) مت ٥: ٣ (٤) مت ٥: ٦ (٥) مت ٦: ٢٥

(٦) تث ٨: ٣—١٦ (٧) تث ٨: ٤ (٨) خر ١٢: ٣٧ عدد ١: ٤٦ و ١١: ٢١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تهنان (١) بيد ان رحمته لا تهن للذين يتقونه (١) ٢٧ أغنياء العالم هم على رخائهم جياع وسيهلكون (٢) ٢٨ كان غني ازدادت (٣) ثروته فقال ماذا أفعل يا نفسي ٢٩ اني اهدم اهرائي لانها صغيرة وأبني أخرى جديدة أكبر منها فتظفرين بغناك يا نفسي » ٣٠ انه لخاسر لانه في تلك الليلة توفي ٣١ ولقد كان يجب عليه العطف على المسكين وان يجعل لنفسه اصدقاء من صدقات أموال الظلم في هذا العالم لانها تأتي بكنوز في عالم السماء ٣٢ وقولوا لي من فضلكم اذا وضعتم دراهمكم في مصرف عشار فاعطاكم عشرة اضعاف وعشرين ضعفا أفلا تعطون رجلا كهذا كل ما لكم ٣٣ ولكن الحق أقول لكم انكم مهما أعطيتم وتركتم لاجل محبة الله فستردونه مئة ضعف مع الحياة الابدية (٤)(ب) ٣٤ فانظروا اذاً كم يجب عليكم ان تكونوا مسرورين في خدمة الله

الفصل السابع عشر (ت)

(عدم ايمان التلاميذ ودين « المؤمن » الصحيح)

١ ولما قال يسوع ذلك اجاب فيلبس اننا لراغبون في خدمة الله ولكننا نرغب أيضاً ان نعرف الله (٥) لان اشعيا النبي قال « حقاً انك لإله (ث) محتجب (٦) ٣ وقال الله لموسى عبده « أنا الذي هو أنا (٧) »

(ا) أقول لك هذا الكلام حتى ينهدم السماء والارض واما من يخاف الله لا ينقطع رحمة الله عليه أبداً منه (ب) أقول لكم الحق ما أعطيتم في سبيل الله من الاشياء اعطى كم الله في مقابلته مائة خيرا منه (ت) هنا سورة إخلاص (ث) الله خفي

(١) مر ١٣: ٣١ (٢) يع ٥: ١ (٣) لو ١٦: ٣ ٣٠ (٤) مت ١٩: ٢٩

(٥) يو ١٤: ٦ (٦) اش ٤٥: ١٥ (٧) خر ٣: ١٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤ أجاب يسوع يافيلبس ان الله صلاح بدونه لا صلاح ٥ ان الله موجود بدونه لا وجود ٦ ان الله حياة بدونها لا أحياء[أ] ٧ هو عظيم حتى انه يملأ الجميع وهو في كل مكان ٨ هو وحده لا ند له ٩ لا بداية ولا نهاية له[ب] ولكنه جعل لكل شيء بداية وسيجعل لكل شيء نهاية[ت] ١٠ لا أب ولا أم له ١١ لا ابناء ولا إخوة ولا عشراء[ث] له ١٢ ولما كان ليس لله جسم فهو لا يأكل ولا ينام ولا يموت ولا يمشي ولا يتحرك ١٣ ولكنه يدوم الى الابد بدون شبيه[ج] بشري ١٤ لانه غير ذي جسد وغير مركب وغير مادي وابسط البسائط[ح] ١٥ وهو جواد لا يحب الا الجود ١٦ وهو مقسط حتى اذا هو قاص أو صفح فلا مرد له ١٧ وبالاختصار أقول لك يا فيلبس انه لا يمكنك ان تراه وتعرفه على الارض تمام المعرفة ١٨ ولكنك ستراه في مملكته الى الابد حيث يكون قوام سعادتنا ومجدنا

١٩ أجاب فيلبس ماذا تقول يا سيد حقاً لقد كتب في أشعيا ان الله أبونا[١] فكيف لا يكون له بنون ؟

٢٠ أجاب يسوع انه في الانبياء مكتوب امثال كثيرة لا يجب ان

(أ) الله واحد لا كفء له حق سبحانه وتعالى خيرا لا خير الا هو وكذلك حيوته وفاته منه (ب) الله أكبر الله قديم وباق (ت) لا أوّل لله « لا أول لله » ولا آخر له اما خلق لكل شيء أولا وآخرا (ث) الله تعالى لا أبا له ولا أم له ولا ولد له ولا أخ له ولا شريك له ولا بدن له لاجل هذا لا يشكل ولا ينام ولا يموت ولا يذهب ولا يتحرك لكن قائم ابداً منزه من كل مخلقات ولا مركب له ولا يتركب من الاشياء لكن لطيف بالذاة منه (ج) الله قائم وباق وسبحان ولطيف وخير. ذو انتقام وغفور منه (ح) الله لا تدركه الابصار منه

(١) أش ٦٣ : ١٦ و ٦٤ : ٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تأخذها بالحرف بل بالمعنى ٢١ لان كل الانبياء البالغين مئة وأربعة وأربعين ألفا الذين أرسلهم (أ) الله الى العالم قد تكلموا بالمعميات بظلام ٢٢ ولكن سيأتي بعدي بهاء (١) كل الانبياء والاطهار (ب) فيشرق نورا على ظلمات سائر ما قال الانبياء ٢٣ لانه رسول الله (ت) ٢٤ ولما قال هذا تنهد يسوع وقال ٢٥ ارأف بإسرائيل أيها الرب الاله (ث) وانظر بشفقة على ابراهيم وعلى ذريته لكي يخدموك باخلاص قلب

٢٦ فأجاب تلاميذه ليكن كذلك أيها الرب الاله (ج)

٢٧ وقال يسوع الحق أقول لكم ان الكتبة والعلماء قد أبطلوا شريعة (٢) الله بنبواتهم (ح) الكاذبة المخالفة لنبوات أنبياء الله (خ) الصادقين ٢٨ لذلك غضب الله على بيت اسرائيل وعلى هذا الجيل القليل الايمان ٢٩ فبكى تلاميذه لهذه الكلمات وقالوا أرحمنا يا الله (٣) (د) رأف على الهيكل والمدينة المقدسة ولا تدفعها الى احتقار الامم لكي لا يحتقروا عهدك ٣٠ فأجاب يسوع وليكن كذلك أيها الرب اله آبائنا (ذ).

(أ) الله مرسل (ب) قال عيسى بن مريم سيجيء من بعدي نور الانبياء والاولياء منه (ت) رسول الله (ث) الله الرحمن الله كريم (ج) الله سلطان (ح) الله قهار (خ) اليهود ويحرفون الكلم من بعد مواضعه منه هذا وبعده النصار هذا انا شهيد وهذا الكتاب يحرفون الكلم في الانجيل (د) الله الرحمن (ذ) سلطان لله آبائنا

؟ (١) مر ٧ : ١٣ (٢) مر ٧ : ١٣ (٣) طا ٩ : ١٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثامن عشر (ا)

(يوضح هنا اضطهاد العالم لخدمة الله وان حماية الله تقيهم)

١ وبعد ان قال يسوع هذا قال: «لستم أنتم الذين اخترتموني (١) بل أنا اخترتكم لتكونوا تلاميذي ٢ فاذا أبغضكم العالم تكونون حقاً تلاميذي (٢) ٣ لان العالم كان دائماً عدو عبيد خدمة الله ٤ تذكروا الانبياء الاطهار الذين قتلهم العالم ٥ كما حدث في أيام ايليا (ب) اذ قتلت ايزابل عشرة آلاف نبي حتى بالجهد نجا ايليا المسكين وسبعة آلاف من أبناء الانبياء (٣) الذين خبأهم رئيس جيش أخاب ٦ أواه من العالم الفاجر الذي لا يعرف الله ٧ اذاً لا تخافوا أنتم (٤) لان شعور رؤسكم محصاة كي لا تهلك ٨ انظروا العصفور الدروي والطيور الاخرى التي لا تسقط منها ريشة بدون ارادة الله ٩ أيعتني (ت) الله بالطيور أكثر من اعتنائه بالانسان الذي لاجله خلق كل شيء ؟ ١٠ ايتفق وجود انسان أشد اعتناء بحذائه منه بابنه ١١ كلا ثم كلا (١٢) أفلا (ث) يجب عليكم بالأولى ان تظنوا ان الله لا يهملكم وهو المعتني بالطيور ١٣ ولكن لماذا اتكلم عن الطيور بل لا تسقط ورقة شجرة بدون ارادة الله (ج)

١٤ «صدقوني لاني أقول لكم الحق ان العالم يرهبكم اذا حفظتم كلامي ١٥ لانه لو لم يخش فضيحة فجوره لما أبغضكم ولكنه يخشى فضيحته

(ا) سورة توكيل (ب) في زمان الياس يقتل اليهود عشرة الاف أنبياء بغير الحق منه (ت) الله وكيل وحافيظ (ث) الله رب (ج) لا يسقط ورق من الشجر الا بارادة الله تعالى منه

(١) يو ١٥ : ١٦ (٢) يو ١٥ : ١٩ (٣) ١ مل ١٨ : ٤ و ١٣ (العدد هناك مئة ولعل ماهنا هو المراد بما في و ١ مل ١٩ : ١٨ (٤) مت ١٠ : ٢٨—٣٠ ولو ١٢ : ٥١—٥٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولذلك يبغضكم ويضطهدكم (أ) ١٦ فاذا رأيتم العالم يستهين بكلامكم فلا تحزنوا بل تأملوا كيف ان الله وهو أعظم منكم قد استهان به أيضاً العالم حتى حسبت حكمته جهالة ١٧ فاذا كان الله يحتمل (ب) العالم بصبر فلماذا تحزنون أنتم يا تراب وطين الارض ١٨ فبصبركم تملكون أنفسكم (١) ١٩ فاذا لطمكم أحد على خد فحولوا له الآخر ليلطمه (٢) ٢٠ لا تجازوا شراً بشر (٣) لان ذلك ما تفعله شر الحيوانات كلها ٢١ ولكن جازوا الشر بالخير (ت) وصلوا لله لاجل الذين يبغضونكم (٤) ٢٢ النار لا تطفأ بالنار بل بالماء لذلك أقول لكم لا تغلبوا الشر بالشر بل بالخير (٥) ٢٣ انظروا الله (ث) الذي جعل شمسه تطلع على الصالحين والطالحين (٦) وكذلك المطر ٢٤ فكذلك يجب عليكم ان تفعلوا خيراً مع الجميع لانه مكتوب في الناموس كونوا قديسين لاني انا الهكم قدوس (ج) (٧) كونوا أنقياء لاني أنا نقي وكونوا كاملين لاني أنا كامل (ح) (٨) ٢٥ الحق أقول لكم ان الخادم يحاول ارضاء سيده فلا يلبس ثوباً ينفر منه سيده ٢٦ واثوا بكم هي ارادتكم ومحبتكم ٢٧ احذروا اذاً من ان تريدوا أو تحبوا شيئاً غير مرضي لله (خ) ربنا ٢٨ ايقنوا ان الله يبغض بهرجة وشهوات العالم لذلك ابغضوا أنتم العالم

«ا» الدنيا لا تحب عباد الله الاخيار لانها خافت ان يكشف واوشاقبها ! يكشفوا شقاوتها ؟) وتقصد للعباد ان تصيب البلاء والضرر منه «ب» الله صبر «صبور ؟ » الله عليم «ت» مثلا لا يدفع النار « بالنار» كذلك لا يدفع الشر « بالشر » منه «ث» الله رازق «ج» الله ولي وقدوس وكاميل «ح» يقول الله تعلى في التورية يا بني إسرائيل كنوا ولياً فاني ولي وكنوا طاهرا فني طاهر وكنوا كاميلا فني كاميل منه «خ» الله سلطان

«١» لو ٢١ : ١٩ «٢» مت ٥ : ٣٩ «٣» ١ بط ٢ : ٩ «٤» مت ٥ : ٤٤ ولو ٦ : ٢٨
«٥» رو ١٢ : ٢١ «٦» مت ٥ : ٤٨ «٧» لا ١٩ : ٢ «٨» مت ٥ : ٤٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حجة الاسلام أبو حامد الغزالي

ان سيرة عظماء الرجال ، اكبر عون على تربية الاجيال ، وقد كان الامام أبو حامد محمد الغزالي من علماء الاسلام المصلحين في أصول الاسلام وفروعه وآدابه اعترف له بذلك العلماء وعدوه من المجددين المشار اليهم بحديث « ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها » رواه أبو داود والحاكم في المستدرك والبيهقي في المعرفة من حديث أبي هريرة وعلم عليه في الجامع الصغير بالصحة . وسيأتي ذكر شيء من أقوال الفقهاء والمؤرخين والصوفية فيه . لذلك هممت منذ سنين بأن أكتب في المنار شيئاً عن الرجال العظام ابدأ فيه بملخص سيرته في المنار ولم أوفق إلى ذلك قبل اليوم . وارجو أن يكون فيما أكتبه الآن عبرة لأولي الالباب

﴿ أصله ومنشؤه ﴾

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد لم أر احدا ذكر له أكثر من ثلاثة آباء وأسماؤهم عربية ولكن نسبه لا يعرف منها فهو اما من العرب الذين تغلغلوا في بلاد الفرس من أول الفتح الاسلامي واما من الفرس الذين غلبت عليهم الاسماء العربية لعراقتهم في الاسلام . وانك لتجد كثيرا ممن يتكلمون في التاريخ يجزمون بنسب العلماء الذين نشؤا ببلاد الفرس في الاسلام فيقولون انهم من الفرس وان فلانا فارسي الاصل والمنشأ حتى ان منهم من يعد أصحاب الانساب العربية المعروفة من الفرس كصاحب القاموس وصاحب الأغاني واضرابهم . ومن أسباب هذا الغلط فيما أرى اشتهار قول ابن خلدون ان أكثر علماء الملة من العجم وهو مخطئ في هذا الحكم ومخطئ فيما علله به . والصواب أن علماء الاسلام الذين نبغوا في بلاد الفرس وغيرها من بلاد الاعاجم منهم العربي كمن ذكرنا آنفا ومنهم العجمي كسيبويه ومنهم المجهول نسبه كأبي حامد الغزالي فيتوقف في مثله حتى يظهر الدليل وقد يستدل على أنه من سلالة عربية بما يأتي في فصل اشتغاله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العلم من بلاغته مع قلة ممارسته للفنون العربية

اما ما ينسب اليه الغزالي فقد اختلف فيه وفي ضبطه هل هو بالتخفيف أو التشديد وقد جاء في ترجمة أبي حامد لشارح الاحياء في ذلك ما نصه :

«قال صاحب تحفة الارشاد نقلا عن الامام النووي في دقائق الروضة التشديد في الغزالي هو المعروف الذي ذكره ابن الأثير و بلغنا أنه قال منسوب الى غزالة بتخفيف الزاي قرية من قرى طوس : قلت وهكذا ذكره النووي أيضا في التبيان . وقال الذهبي في العبر وابن خلكان في التاريخ عادة أهل خوارزم وجرجان يقولون القصاري والحباري بالياء فيهما فنسبوه للغزل وقالوا الغزالي ومثل ذلك الشحامي وأشار لذلك ابن السمعاني أيضا وأنكر التخفيف وقال سألت أهل طوس عن هذه القرية فأنكروها وزيادة هذه الياء قالوا للتأكيد وفي تقرير بعض شيوخنا للتمييز بين المنسوب الى نفس الصنعة و بين المنسوب الى من كانت صنعته كذلك وهذا ظاهر في الغزالي فانه لم يكن ممن يغزل الصوف و يبيعه وانما هي صنعة والده وجده . ولكن في المصباح المنيري ما يؤيد التخفيف وان غزالة قرية بطوس واليها نسب الامام أبو حامد . قال أخبرني بذلك الشيخ مجد الدين بن محمد بن أبي الطاهر شروان شاه بن أبي الفضائل فخر اور ابن عبيد الله بن ست المنا بنت أبي حامد الغزالي ببغداد سنة عشر وسبعمائة وقال لي أخطأ الناس في تثقيل جدنا وانما هو مخفف . وقال الشهاب الخفاجي في آخر شرح الشفا : ويقال انه منسوب الى غزاله ابنة كعب الاحبار وهذا ان صح فلا محيد عنه : والمعتمد الآن عند المتأخرين من أئمة التاريخ والانساب أن القول قول ابن الأثير أنه بالتشديد»

ولد أبو حامد في مدينة طوس من عمل خراسان سنة ٤٥٠ قال ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى : وكان والده يغزل الصوف و يبيعه في دكانه بطوس فلما حضرته الوفاة وصى به و بأخيه أحمد الى صديق له متصوف من أهل الخير وقال له ان لي لتأسفا عظيما على تعلم الخط وأشتهي استدراك ما فاتني في ولدي هذين فعلمهما ولا عليك أن تنفد في ذلك جميع ما أخلفه لهما . فلما مات أقبل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصوفي على تعليمهما الى أن فني ذلك النزر اليسير الذي خلفه لهما أبوهما وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما فقال لهما : اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به ، وأصلح ما أرى لكما أن تلجآ الى مدرسة فانكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما : ففعلا ذلك وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما وكان الغزالي يحكي ذلك ويقول « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله » اه

فأنت ترى أن الغزالي نشأ فقيرا وكذلك أكثر النابغين في الأمم والعصور التي لا إلزام فيها بالتعليم والتربية يخرجون من بيوت الفقراء أو من هم على مقربة منهم . والأغنياء يشغلهم الترف والنعيم عن الجد والاجتهاد في العلم لا سيما في تلك الأزمنة التي كان فيها طلب العلم لا يتم الا بالرحلة الى العلماء المشهورين كما ترى فيما يلي وناهيك بما كان في طي المسافات من المشاق

﴿ طلب الغزالي للعلم ﴾

قرأ في صباه طرفا من فقه الشافعية على أحمد بن محمد الراذكاني في بلده (طوس) ثم سافر الى الامام أبي نصر الاسماعيلي في جرجان وعلق عنه كتاب التعليقة وعاد الى طوس . قال الامام أسعد الميهني فسمعته يقول قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع ما معي ومضوا فتبعتهم فالتفت الي مقدمهم وقال ارجع ويحك والا هلكت فقلت له أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد علي تعليقتي فقط فما هي بشيء تنتفعون به . فقال لي وما هي تعليقتك ؟ فقلت كتب في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها . فضحك وقال كيف تدعي انك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها و بقيت بلا علم ؟؟ ثم أمر بعض أصحابه فسلم الي المخلاة (قال الغزالي) هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمري فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته وصرت بحيث لو قطع علي الطريق لم أتجرد من علمي . قال التاج السبكي وقد روى هذه الحكاية عن الغزالي أيضا الوزير نظام الملك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أقول وفيها من العبرة لمثل طلاب الأزهر ان هذا الإمام العظيم ماوصل الى ماوصل اليه الا بعد أن جعل قصده في طلب العلم أن يكون العلم صفة من صفاته لاأن يفهم ماياخذه عن العلماء اذا هو قرأه فقط فينبغي لكل طالب علم أن يتلقى العلم لأجل أن يكون له فيه حكم ورأي ولا يكتفي بأن يكون راويا لأقوال العلماء ولو مع الفهم لأن من يفهم علم غيره لا يعد هو عالما الا اذا هو أشرب العلم وصار له فيه فهم خاص يقدر على الاستدلال عليه ودفع معارضة المخالفين عنه، وصار بحيث لو رجع عنه من نقل عنه لا يرجع هو

قال السبكي ثم ان الغزالي قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين وجد واجتهد حتى برع على يديه في مذهب الشافعي والخلاف والجدل والأصلين والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدى للرد عليهم وإبطال دعاويهم وصنف في كل فن من هذه العلوم كتبا أحسن تأليفها، وأجاد وضعها وترصيفها، كذا نقل النقلة عنه وأنا لم أر له مصنفا في أصول الدين بعد شدة الفحص الا أن يكون قواعد العقائد وعقائد صغرى (كذا)

أقول وفاته كتاب الاقتصاد في الاعتقاد . وظاهر قوله « وقرأ الحكمة والفلسفة » انه لم يقرأها على إمام الحرمين وهو كذلك كما يعلم من كتابه (المنقذ من الضلال) وفيه انه صنف كتبا في الكلام وستأتي عبارته فيه

وقال الزبيدي في ترجمته بعد ان ذكر من مشايخه بطوس أحمد بن محمد الراذكاني وفي جرجان أبا نصر الاسماعيلي وفي نيسابور امام الحرمين وشيخه في التصوف « ومن مشايخه أيضا يوسف السجاج وفي الحديث أبو سهل محمد بن أحمد ابن عبيد الله الحفصي المروزي والحاكم أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الخواري خوار طبران ومحمد بن يحيى ابن محمد السجاعي الزوزني والحافظ أبو الفتيان عمر بن أبي الحسن الرواسي الدهستاني ونصر بن ابراهيم المقدسي على قول الذهبي وقال غيره لم يدركه فهؤلاء شيوخه في العلوم الثلاثة: — يعني الفقه والتصوف والحديث — أقول وهؤلاء الكثيرون الذين سمع منهم الحديث انما سمعه منهم في آخر أمره بعد ان رجع من سياحاته —

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم قال الزبيدي: ولم أطلع على أسماء شيوخه الذين قرأ عليهم في الكلام أو الجدل فان عثرت على شيء بعد ذلك ألحقت به ان شاء الله تعالى . واما علوم الفلسفة فلا شيخ له فيها كما صرح بذلك في كتابه المنقذ من الضلال : اه

أقول انه أخذ الكلام والخلاف عن إمام الحرمين لأنه كان من المبرزين فيهما وما كان للزبيدي أن يغفل عن ذلك . ولم يذكر واشيوخه في الفنون العربية كالنحو والصرف والبيان والأدب ويحتمل انه أخذ عن الراذكاني مع الفقه شيئاً من مباديها واعتمد بعد ذلك فيها على اشتغاله بنفسه فقد قال عبد الغافر الفارسي خطيب نيسابور وكان من معاصريه انه كان مما يعترض به عليه وقوع خلل من جهة النحو يقع في أثناء كلامه وروجع فيه فأنصف من نفسه واعترف بأنه ما مارس ذلك الفن واكتفى منه بما يحتاج اليه في كلامه مع انه كان يؤلف الخطب ويشرح المكتب بالعبارات التي تعجز الأدباء والفصحاء عن أمثالها ، وأذن للذين يطالعون كتبه فيعثرون على خلل فيها من جهة اللفظ أن يصلحوه ويعذروه فما كان قصده الا المعاني وتحقيقها ، دون الألفاظ وتلفيقها ، اه كلام عبد الغافر

ونحن نرى أن كلامه في كتبه أعلى من كلام أقرانه أسلوبا وأحسن بيانا وأشد تأثيرا كما نجد فهمه للكلام العربي أدق من أفهامهم وذلك منتهى المقصد من الفنون العربية كلها فاذا كان الوصول الى هذا المقصد ممكنا مع الاقلال من الاشتغال بالنحو فلماذا يضيع العاقل الوقت الطويل في قراءة الكفراوي والشيخ خالد والأزهرية والقطر والشذور وابن عقيل والاشموني وحواشي هذه الكتب على ان كتابا منها يكفي الطالب ما لا بد منه من النحو ولعل من فهم الشذور أو ابن عقيل يكون أعلم من الغزالي بنفس النحو فعليه أن يفكر في الطريقة التي يكون بها مع ذلك مثل الغزالي أو على مقربة منه في فهم الكلام العربي الذي وضع النحو لضبطه وللاتيان بالكلام البليغ منه قولا وكتابة ولذلك طريق غير كثرة مزاولة كتب النحو التي يضعف مثلها ملكة اللسان كما قال ابن خلدون فليفكر في ذلك طلاب الأزهر الاذكياء لاسيما من كان منهم عربي اللسان يسهل عليه فهم الكتب البليغة في الأدب والتاريخ وغير ذلك بالممارسة قبل تلقي الفنون .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فان كاتب هذه السطور قرأ كثيرا من هذه الكتب قبل طلب العلم ومنها كتاب إحياء علوم الدين لصاحب السيرة . ولكن هذا لا يتيسر للأعاجم . وقد يستدل بهذا على ان الغزالي من عشيرة عربية بقيت محافظة على أصل لغتها الا مالا تخلو عنه طبيعة المخالطة للأعاجم من التحريف والدخيل الا أن يقال لغة الفرس كافة كانت قد تحولت عربية في ذلك العهد وصار العارف بالفارسية يتلقاها بالتعلم وهذا ما ينكره كثير من العارفين منهم صاحبنا الدكتور محمد مهدي خان فانه يقول ان لغة العامة هناك في القرن الرابع والخامس كانت الفارسية . وقد كان الغزالي يعرف الفارسية وألف فيها ولو كان فارسي الاصل وهو من العامة لكانت لغته الأصلية ومثله لا يصير بليغاً بالعربية الا بعد اشتغال بالفنون طويل فبلاغته وفصاحته وسلامة عبارته من العجمة على كونه من العامة يرجح كونه عربي الاصل فهذا ما رأينا أن نبينه من سيرة حجة الاسلام في تلقي العلم والعبرة فيها للطالبين

﴿ تخرجه وتصدّيه للافادة ﴾

قلنا انه اشتغل أولا بطوس وكانت مدينة آهلة بالعلم والعلماء في الجملة وكان يومئذ مراهقاً ثم في جرجان وكانت فوق طوس في العلم والعمران ثم في المدرسة النظامية بنيسابور أعظم معاهد العلم في خراسان ومازال فيها يختلف الى دروس امام الحرمين علامة ذلك العصر الزاهر حتى تخرج به واشتهر وقد قيل ان شيخه كان يجد منه شيئاً في نفسه وان كان يفتخر به في الملأ كما سيأتي . ولما توفي امام الحرمين سنة ٤٧٨ خرج الغزالي الى العسكر وهي محلة بالقرب نيسابور كان يقيم فيها نظام الملك الوزير نصير العلم وكعبة العلماء فحل من مجالس الوزير محل القبول . قال معاصره أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي خطيب نيسابور في ذلك : محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي حجة الاسلام والمسلمين ، امام أئمة الدين ، لم تر العيون مثله لساناً وبياناً ونطقاً وخاطراً ، وذكاء وطبعاً ، أخذ طرفاً في صباه بطوس من الفقه على الامام أحمد الراذكاني ثم قدم نيسابور مختلفاً الى درس امام الحرمين في طائفة من الشبان من طوس وجد واجتهد حتى تخرج في مدة قريبة وبزّ الأقران وحصل القرآن ، وصار أنظر أهل زمانه ، وأوحد أقرانه في أيام امام الحرمين .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكان الطلبة يستفيدون منه ويدرس لهم ويرشدهم ويجتهد في نفسه . وبلغ الأمر به الى أن أخذ في التصنيف . وكان الامام مع علو درجته وسمو عبارته وسرعة جريه في النطق والكلام لا يصغي نظره الى الغزالي سرًّا لإربائه عليه في سرعة العبارة وقوة الطبع ، ولا يطيب له تصديه للتصانيف وان كان متخرجا به منتسبا اليه كما لا يخفي من طبع البشر ولكنه يظهر التبجح به والاعتداد بمكانه ظاهرا خلاف ما يضمره .

« ثم بقي كذلك الى انقضاء أيام الامام فخرج من نيسابور وسار الى العسكر واحتل من مجلس نظام الملك محل القبول وأقبل عليه الصاحب لعلو درجته وظهور اسمه وحسن مناظرته ، وجري عبارته ، وكانت تلك الحضرة محط رحال العلماء ومقصد الأئمة والفصحاء » فوقعت للغزالي اتفاقات حسنة من الاحتكاك بالأئمة وملاقاة الخصوم اللد ، ومناظرة الفحول ، ومناقدة الكبار ، وظهر اسمه في الآفاق وارتفق ذلك أكمل الارتفاق ، حتى أدت الحال به الى أن رسم للمصير الى بغداد للقيام بتدريس المدرسة الميمونة النظامية بها فصار اليها وأعجب الكل تدريسه ومناظرته وما لقي مثل نفسه وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق

« ثم نظر في علم الأصول وكان قد أحكمه فصنف فيه تصانيف ، وجدد المذهب في الفقه فصنف فيه تصانيف ، وسبك الخلاف فجدد فيه أيضا تصانيف ، وعلت حشمته ودرجته في بغداد حتى كانت تغلب حشمة الأكابر والأمراء ودار الخلافة فانقلب الأمر من وجه الى آخر » اهـ المراد من كلام عبد الغافر هنا ومنه تعلم أن رياسة العلوم الظاهرة قد انتهت اليه في سن الشباب حتى كان يوصف بحجة الاسلام وإمام أئمة العصر وهو لم يشتغل بالتلقي عن العلماء الا بضع سنين

أقول إنه تخرج في بضع سنين أخذا مما مر من انه لم يطلب العلم من أول سن التمييز بل بعد عجز الوصي عليه وعلى أخيه من النفقة عليهما ، ومن قوله في أول كتابه المنقذ من الضلال « ولم أزل منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى الآن — وقد أناف السن على الخمسين — اقتحم لجة هذا البحر » الخ ما سيأتي . وقد علم من كلام معاصره عبد الغافر ومن كلام غيره من المؤرخين أنه تخرج في عهد أستاذه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إمام الحرمين في مدة قليلة وقد توفي امام الحرمين سنة ٤٧٨ وكانت سن الغزالي ٢٨ سنة أي انه كان متخرجا قبل ذلك

غرضنا من هذا التحقيق تنبيه طلاب العلم الى مسألة أرجو انتفاع أذكيائهم بها وهي أن طول مدة الاشتغال بالتلقي والتحصيل قلما تأتي بفائدة بل هي عنوان البلادة وخمود الذهن وخمول النفس ودليل على فساد التعليم وأكثر النابغين من العلماء والحكماء لم يقيموا في معاهد التعليم والتلقي زمنا طويلا . وقد قرر هذه الحقيقة الفيلسوف سبنسر . وقد كان الاستاذ الامام بعد سنوات قليلة يحضر دروس بعض العلماء في علم و بيده كتاب في علم آخر يطالع فيه

﴿ تربية الغزالي لنفسه وتفلسفه وتصوفه ﴾

العلوم والفنون في نفسها صناعات وآلات يستعان بها على اصلاح اللسان والعمل والنفس والعقل فمن طلب فنا منها كان له في طلبه ثلاثة مقاصد — أحدها أن يعرف الفن بحسب ما قاله الواضعون له والمصنفون فيه اتباعا لهم وتقليدا . ثانيها أن يعرفه كما عرفه الواضعون بمآخذه ودلائله بحيث يكون له فيه رأي وحكم لا يبالي فيه وافق الواضعين أو خالفهم وانما يتحرى فيه مايراه صوابا . ثالثها أن يعرفه ليستعمله فيما وضع له ويجعله وسيلة للعمل . وهذا الأخير يجتمع مع كل من الأول والثاني وقد يوجدان بدونه ويوجد ألوف من الصنف المعروف عندنا بصنف العلماء قرؤا الفنون العربية والشرعية وبعض العقلية بالقصد الأول ووجد كثيرون قرأوها بالقصد الثاني وما كان المحصلون لثمراتها من الآخرين فضلا عن الأولين الا الأقلين فكم من عالم بمسائل النحو البلاغة واسم الاطلاع لم يصلح لسانه ولا قلمه فهو عاجز عن الاتيان بالكلام الصحيح ، بله البليغ الفصيح ، وكم من عالم بأحكام الحلال والحرام ، والفضائل والرذائل ، فاسد الاخلاق ، مرتكب للمحرمات ، وكم من عالم بقوانين المنطق يعجز عن تحديد حقيقة ، واقامة البرهان على عقيدة ، وكم من بارع بصناعة الحجة ، نحرير في علم الكلام ، وهو فاسد الاعتقاد ، أو منطو على الالحاد ، وان لنا في سيرة حجة الاسلام ، أكبر حجة على هؤلاء الاقوام ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شرع أبو حامد في طلب العلم على طريقة أهل المقصد الأول أعني المقلدين فأرشده رئيس العيارين الذين نهبوه منصرفه من جرجان الى الطريقة الثانية طريقة الاستقلال فلم يلبث أن صار اماما في زمن قصير لأن المستقل بنظره يحصل في سنة ما لا يحصله المقلد الذي يأخذ كل ما يلقى اليه بالتسليم في سنين كثيرة. وما كل أحد كالغزالي ترشده كلمة يلفظها قاطع الطريق الى مثل هذه الحقيقة التي يجهلها أكثر المشتغلين بالعلم . وانما يسترشد الناس بالحكمة على قدر استعدادهم وكان استعداد الغزالي في الذروة العليا وقد يقرأ سيرته هذه بطولها وتفاصيلها كثيرون من طلاب العلم في الأزهر وغيره ثم لا يخرجون من ظلمات التقليد الى نور الاستقلال لضعف استعدادهم

لم يرض أبو حامد من العلم بالمقصد الثاني الذي لا يعلو به صاحبه عن مرتبة الصناع بل حاول في كل علم قرأه الوصول الى غايته ، والتحقق بحقيقته ، فكما كان بالعلوم العربية كاتبا بليغا وخطيبا مفوها و بعلوم الكلام والفقه والخلاف حجة على الخصم وركنا للمذهب ، أراد أن يكون هو في نفسه على يقين من كل ما يعتقد وان يكون عمله ثمرة علمه ، فربى نفسه لذلك تربية خاصة ومثل هذا لا يأتي بمعرفة المسائل والدلائل فقط بل لا بد فيه من التربية والمجاهدة وهاك ما كتبه عن نفسه في ذلك ملخصا من كتابه (المنقذ من الضلال) . قال بعد البسملة والحمدلة والتصلية

« أما بعد فقد سألتني أيها الأخ في الدين أن أبث اليك غاية العلوم وأسرارها، وغائلة المذاهب وأغوارها ، وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المذاهب والطرق ، وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار ، وما استفدته أولا من علم الكلام ، وما احتويته ثانيا من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف ، وما ارتضيته آخرا من طريقة التصوف، وما انجلى لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الخلق ، من لباب الحق ، وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة ، وما دعاني الى معاودتي بنيسابور بعد طول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المدة ، فابتدرت لاجابتك الى مطلبك ، بعد الوقوف على صدق رغبتك ، وقلت مستعينا بالله ومتوكلا عليه ، ومستوفقا منه وملتجئا اليه ،

« اعلموا أحسن الله ارشادكم ، وألان للحق قيادكم ، أن اختلاف الخلق في الأديان والملل ، ثم اختلاف الأمة في المذاهب على كثرة الفرق ، وتباين الطرق ، بحر عميق غرق فيه الأكثرون ، وما نجا منه الا الأقلون ، وكل فريق يزعم انه الناجي و « كل حزب بما لديهم فرحون » وهو الذي وعدنا به سيد المرسلين وهو الصادق المصدوق حيث قال « ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة الناجية منها واحدة » (١) فقد كاد ما وعد أن يكون ،

« ولم أزل من عنفوان شبابي وقد أنافت السن على الخمسين أقتحم لجة هذا البحر العميق اقتحام الجسور ، لا خوض الجبان الحذور ، وأتوغل في كل ظلمة ، وأتهجم على كل مشكلة ، وأقتحم كل ورطة ، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة ، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة ، لا ميز بين محق ومبطل ، ومتسنن ومبتدع ، لا أغادر باطنيا الا وأحب ان أطلع على بطانته ، ولا ظاهريا الا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما الا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا الا وأحرص على العثور على سر صفوته ، ولا متعبدا الا وأرصد ما يرجع اليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا معطلا الا وأتجسس وراءه التنبه لاسباب جرأته ، في تعطيله وزندقته ،

« وقد كان التعطش الى حقائق الأمور دأبي وديدني ، من أول أمري ، وريعان عمري ، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي ، لا باختياري وحيلتي ، حتى انحلت عني رابطة التقليد ، وانكسرت على (كذا) العقائد الموروثة ، على قرب عهد بسن الصبا ، اذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء الا على التنصر ، وصبيان اليهود لا نشوء لهم الا على التهود ، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم الا على الاسلام ، وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « كل مولود يولد على فطرة الاسلام فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم بألفاظ مختلفة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتحرك باطني الى طلب حقيقة الفطرة الاصلية ، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والاستاذين ، والتمييز بين هذه التقليدات ، وأوائلها تلقينات ، وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات »

« فقلت في نفسي أولا انما مطلوبي العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب حقيقة العلم ماهي فظهر لي ان العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك بل الامان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والحية ثعبان ، لم يورث ذلك شكا وإنكارا ، فاني اذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة فقال لي قائل « لا بل الثلاثة أكثر بدليل أني أقلب هذه العصا ثعبانا » وشاهدت ذلك منه لم أشك بسببه في معرفتي ولم يحصل لي منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه فأما الشك فيما علمته فلا . ثم علمت أن كل مالا أعلمه على هذا الوجه ، ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، فليس العلم يقيني

(القول في مداخل السفسطة وجحد العلوم)

« ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلا من علم موصوف بهذه الصفة الا في الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المشكلات الا من الجليات وهي الحسيات والضروريات فلا بد من إحكامها أولا لأتبين أن ثقتي بالمحسوسات وأماني من الغلط في الضروريات من جنس أماني الذي كان من قبل في التقليديات ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات أم هو أمان محقق لا غدر فيه ولا غاية له ؟ فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات وأنظر هل يمكنني ان أشكك نفسي فيها فانتهى بي طول التشكك الى أن لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسوسات أيضا وأخذ يتسع هذا الشك فيها ويقول من أين الثقة بالمحسوسات وأقواها حاسة البصر وهي تنظر الى الظل فتراه واقفا غير متحرك وتحكم بنفي الحركة ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنه يتحرك وأنه لم يتحرك بغتة ودفعة بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم تكن له حالة وقوف . وتنظر الى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار دينار ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار

« هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيبا لا سبيل الى مدافعته . فقلت قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا فلعله لا ثقة الا بالعقليات التي هي من الأوليات كقولنا العشرة أكثر من الثلاثة ، والنفي والاثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد ، والشيء الواحد لا يكون حادثا وقديما موجودا معدوما واجبا محالا

« فقالت المحسوسات : بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقا بي فجاء حاكم العقل فكذبني ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ، فلعل وراء ادراك العقل حاكما آخر اذا تجلى كذب العقل في حكمه كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وعدم تجلي ذلك الادراك لا يدل على استحالته : فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلا وأيدت اشكالها بالمنام وقالت : اما تراك تعتقد في النوم أمورا وتتخيل أحوالا وتعتقد لها ثباتا واستقرارا ولا تشك في تلك الحالة فيها ثم تستيقظ فتعلم انه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل فبم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك بحس أو عقل هو حق بالاضافة الى حالتك . لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها الى يقظتك كنسبة يقظتك الى منامك وتكون يقظتك نوما بالاضافة اليها فاذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها أو لعل تلك الحالة ما يدعيها الصوفية أنها حالتهم اذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم اذا غاصوا في أنفسهم وغابوا عن حواسهم أحوالا لا توافق هذه المعقولات ولعل تلك الحالة هي الموت إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » (*) فلعل الحياة الدنيا نوم بالإضافة الى الآخرة فاذا مات المرء ظهرت له الأشياء

(*) قال في الدرر المنتثرة هو من كلام علي رضي الله عنه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على خلاف ما شاهده لآن ويقال له عند ذلك (٥٠ : ٢٢ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)

« فلما خطرت هذه الخواطر انقدحت في النفس فحاولت لذلك علاجا فلم يتيسر اذ لم يكن دفعه الا بالدليل ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الأولية فاذا لم تكن مسلمة لم يمكن تركيب الدليل فأعضل هذا الداء ودام قريبا من شهرين أنافيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال ، لا بحكم النطق والمقال ، حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور (١) هو مفتاح أكثر المعارف فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة ولما سئل رسول الله عليه السلام عن الشرح ومعناه في قوله تعالى (٣٩ : ٢٢ أفمن شرح الله صدره للاسلام) قال « هو نور يقذفه الله تعالى في القلب » فقيل وما علامته فقال « التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود » (٢) وهو الذي قال عليه السلام فيه « ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره » (٣) فمن ذلك النور ينبجس من الجود الالهي في بعض الأحايين ويجب الترصد له كما قال عليه السلام « ان لربكم في أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها » (٤)

« والمقصود من هذه الحكايات أن يعمل كمال الجد في الطلب حتى ينتهي

---

(١) سنتكلم عن هذا النور في موضع آخر بما يزيده تألقا (٢) رواه الحاكم والبيهقي في الشعب وابن مردويه من حديث ابن مسعود بلفظ آخر في أوله وهو انهم سألوه (ص) عند تلاوة الآية كيف انشراح الصدر فقال « اذا دخل النور القلب انشرح له وانفسح » قالوا فما علامة ذلك يارسول الله فقال « الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور » وهو في الظاهر خلاف الآية فافهم

(٣) رواه احمد والترمذي والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وعلم له في الجامع الصغير بالصحة وتتمته « فمن أصابه ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطاه ضل »

(٤) رواه الطبراني عن ابن عباس بسند ضعيف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الى طلب مالا يطلب فان الاوليات ليست مطلوبة فانها حاضرة والحاضر اذا طلب فقد واختفى ومن طلب مالا يطلب فلايتهم بالتقصير في طلب مايطلب

(القول في أصناف الطالبين)

« ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض (أي مرض السفسطة) بفضله وسعة جوده انحصرت أصناف الطالبين (أي الحق في الاعتقاد) في أربع فرق المتكلمون وهم يدعون انهم أهل الرأي والنظر ، والباطنية وهم يزعمون انهم أصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم ، والفلاسفة وهم يزعمون انهم أصحاب المنطق والبرهان ، والصوفية وهم يدعون أنهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة . فقلت في نفسي الحق لايعدو أصحاب هذه الأصناف الاربعة فهؤلاء هم السالكون سبيل طلب الحق فان شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع اذ لا مطمع في الرجوع الى التقليد بعد مفارقته إذ من شرط المقلد أن لا يعلم أنه مقلد فاذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده وهو شعب لا يرأب وشعث لا يلم بالتلفيق والتأليف إلا أن يذاب بالنار ويستأنف لها صبغة أخرى مستجدة . فابتدرت لسلوك هذه الطرق ، واستقصاء ماعند هذه الفرق ، مبتدئا بعلم الكلام ، ومثنيا بطريق الفلسفة ، ومثلثا بتعليمات الباطنية ، ومربعا بطريق الصوفية ، »

هذا ما كتبه الامام الغزالي عن نفسه بعد ان تلقى ما شاء الله من العلم بطريق التقليد زمنا وبطريق الاستقلال زمنا آخر . وقد ذكر بعد ماتقدم فصلا في مقصود علم الكلام وانه حصله وعقله وطالع كتب المحققين فيه وصنف فيه ماشاء أن يصنف قال فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي : وبين أن مقصود علم الكلام حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة وان المتكلمين اعتمدوا على مقدمات تسلموها من خصومهم والجؤهم الى التسليم بها وهي التقليد أو الاجماع أو مجرد القبول من القرآن أو الاخبار . قال « وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم وهذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قليل النفع في جنب من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً أصلا فلم يكن الكلام في حقي كافيا ، ولا الداء الذي كنت أشكوه شافيا ، نعم لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوف المتكلمون الى مجاوزة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور وخاضوا في البحث عن الجواهر والاعراض وأحكامها ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق ولا أبعد أن يكون حصل ذلك لغيري بل لست أشك في حصول ذلك لطائفة ولكن حصولا مشوبا بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الاوليات . والغرض الآن حكاية حالي لا الانكار على من استشفى به فان أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر » اه

القول في الفلسفة

ثم تكلم عن الفلسفة وما يذم منها ويكفر منتحله وما ليس كذلك قال « ثم إني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة وعلمت يقيناً انه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم في أصل العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة فاذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً ولم أر أحداً من علماء الاسلام صرف عنايته وهمته الى ذلك ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم حيث اشتغلوا بالرد عليهم الا كلمات معقدة مبددة ظاهرة التناقض والفساد لا يظن الاغترار بها بغافل عامي فضلا عمن يدعي دقائق العلوم فعلمت أن رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي في عماية

« فشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة باستاذ وأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية وأنا ممتنع بالتدريس والافادة لثلاث مئة نفر من الطلبة ببغداد فأطلعني الله سبحانه بمجرد المطالعة في هذه الاوقات المختلسة على منتهى علومهم في أقل من سنتين ثم لم أزل أواظب على التفكر فيه بعد فهمه قريباً من سنة أعاوده

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأردده وانتقد فرائده وأغواره حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس وتحقيق وتخييل اطلاعا لم أشك فيه »

ثم ذكر أصناف الفلاسفة وأنواع علومهم من رياضيات ومنطقيات وطبيعيات والهيات وسياسيات وخلقيات وبين رأيه فيها وسنذكره . وانتقل من ذلك الى الكلام في مذهب الباطنية

مذهب التعليم وغائلته

قال « ثم اني لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهيمه وتزييف ما زيف منه علمت ان ذلك أيضا غير واف بكمال الغرض وأن العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات وكان قد نبتت نابتة التعليمية وشاع بين الخلق تحديهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الامام المعصوم القائم بالحق، عن لي أن أبحث عن مقالتهم لأطلع على ما في كتبهم . ثم اتفق أن ورد علي أمر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم فلم يسعني مدافعته وصار ذلك مستحثا من خارج ضميمة للباعث الأصلي من الباطن

« فابتدأت بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم وكان قد بلغني كلماتهم المستحدثة التي ولدتها خواطر أهل العصر لا على المنهاج المعهود من سلفهم فجمعت تلك الكلمات ورتبتها ترتيبا عكسا مقارنا للتحقيق واستوفيت الجواب عنها حتى أنكر بعض أهل الحق مني مبالغتي في تقرير حجتهم وقال : هذا سعي لهم فانهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم لمثل هذه الشبهات لولا تحقيقك لها وترتيبك إياها : وهذا الانكار من وجه حق فلقد أنكر أحمد بن حنبل على الحارث المحاسبي تصنيفه في الرد على المعتزلة فقال الحارث الرد على البدعة فرض : فقال أحمد نعم ولكن حكيت شبههم أولا ثم أجبت عنها فلم تأمن ان يطالع الشبهة من تعلق بفهمه ولا يلتفت الى الجواب ولا يفهم كنهه : وما ذكره أحمد حق ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر . اما اذا انتشرت فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب الا بعد الحكاية . نعم ينبغي أن لا يتكلف لهم شبهة لم تتكلف . ولم أتكلف انا ذلك بل كنت قد سمعت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تلك الشبهة من واحد من أصحابي المختلفين الي بعد ان كان قد التحق بهم وانتحل مذهبهم وحكى أنهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم فانهم لم يفهموا بعد حجتهم فلذلك أوردتها لئلا يظن بي أني وان سمعتها لم أفهمها فلذلك قررتها. والمقصود أني قررت شبهتهم الى أقصى الامكان ثم أظهرت فسادها » ثم بين ذلك ملخصاً في عدة صفحات . وليس بيان ذلك من مقصدنا انما المقصد سيرة هذا الامام وبيان كيفية تربيته لنفسه وثمرة ذلك فيها وفيما قصد اليه من الاصلاح

القول في طريق الصوفية

« ثم اني لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت أن طريقتهم انما تتم بعلم وعمل وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها الى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله وكان العلم أيسر علي من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي رحمه الله وكتب الحارث المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغير ذلك من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقتهم بالتعلم والسماع وظهر لي ان أخص خواصهم مالم يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات فكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما و بين أن يكون صحيحا وشبعان وبين أن يعرف حد السكر وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر و بين أن يكون سكران بل السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران وما معه من علمه شيء والصاحي يعرف حد السكر وأركانه وما معه من السكر شيء والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقد للصحة فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها و بين أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا فعلمت يقينا انهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال وان ما يمكن تحصيله بطريق العلم قد حصلته ولم يبق

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الا ما لا سبيل اليه بالسماع والتعلم بل بالذوق والسلوك وكان قد حصل معي من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صفي العلوم الشرعية والعقلية ايمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة وباليوم الآخر فهذه الاصول الثلاثة من الايمان كانت رسخت في نفسي لا بدليل معين مجرد بل بأسباب وقرائن وتجاريب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمع لي في سعادة الآخرة الا بالتقوى وكف النفس عن الهوى وان رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن الجاه والمال والهرب عن الشواغل والعلائق

ثم لاحظت أحوالي فاذا أنا منغمس في العلائق وقد أحدقت بي من الجوانب ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس والتعليم فاذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة ثم تفكرت في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت فتيقنت أني على شفا جرف هار وأني قد أشفيت على النار ان لم اشتغل بتلافي الاحوال فلم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوما وأحل العزم يوما وأقدم فيه رجلا وأؤخر عنه أخرى لا تصفولي رغبة في طلب الآخرة بكرة الا ويحمل عليها جند الشهوة حملة فيفترها عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبني سلاسلها الى المقام ومنادي الايمان ينادي: الرحيل الرحيل، فلم يبق من العمر الا قليل، وبين يديك السفر الطويل، وجميع ما أنت فيه من العمل والعلم رياء وتخييل، فان لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد، وان لم تنقطع الآن فمتى تنقطع: فبعد ذلك تنبعث الداعية وينجزم العزم على الهرب والفرار ثم يعود الشيطان ويقول هذه حالة عارضة واياك أن تطاوعها فانها سريعة الزوال وان أذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض والشان المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص والامن المسلم الصافي عن منازعة الخصوم ربما ألفت اليه نفسك ولا يتيسر لك المعاودة فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريبا من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأربع مئة وفي هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار الى الاضطرار اذ قفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوما واحدا تطييبا لقلوب المختلفة وكان لا ينطلق لساني بكلمة ولا أستطيعها ألبتة ثم أورثت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب بطل معه قوة الهضم وقوام الطعام والشراب فكان لا يتسايغ لي شربة ولا تنهضم لقمة وتعدى الى ضعف القوى حتى قطع الاطباء طمعهم من العلاج وقالوا : هذا أمر نزل بالقلب ومنه يسري الى المزاج فلا سبيل اليه بالعلاج الا بأن يتروح السر عن الهم المم : ثم لما أحسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التجأت الى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له فأجابني الذي (يجيب المضطر اذا دعاه) وسهل على قلبي الاعراض عن الجاه والمال والاهل والولد والأصحاب وأظهرت عزم الخروج الى مكة وأنا أوري في نفسي سفر الشام حذرا من أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على عزمي في المقام بالشام فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم أن لا أعاودها أبدا واستبدفت لائمة أهل العراق كافة اذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الاعراض عما كنت فيه سببا دينيا اذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الاعلى في الدين وكان ذلك مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس في الاستنباطات وظن من بعد عن العراق ان ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة وأما من قرب من الولاة فكان يشاهد إلحاحهم في التعلق بي والانكار علي واعراضي عنهم وعن الالتفات الى قولهم فيقولون هذا أمر سماوي وليس له سبب الا عين أصابت أهل الاسلام وزمرة العلم

« ففارقت بغداد وفرقت ما كان معي من المال ولم أدخر الا قدر الكفاف وقوت الأطفال ترخصا بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفا على المسلمين فلم أر في العالم ما يأخذه العالم لعياله أصلح منه ثم دخلت الشام وأقمت به قريبا من سنتين لا شغل لي الا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق اصعد منارة المسجد طول النهار واغلق بابها على نفسي ثم دخلت منها الى بيت المقدس ادخل كل يوم الصخرة وأغلق

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بابها على نفسي ثم تحركت في داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله تعالى عليه السلام بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه فسرت الى الحجاز

« ثم جذبني الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن فعاودته بعد ان كنت أبعد الخلق عن الرجوع اليه وآثرت العزلة أيضاً حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعاش تغير في وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة وكان لا يصفو الحال الا في أوقات متفرقة الكني مع ذلك لا أقطع طمعي منها فتدفعني عنها العوائق وأعود اليها »

ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها والقدر الذي أذكره لينتفع به اني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الاخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكم الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا وان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها وهي أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله وهذا آخرها بالاضافة الى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها وهي على التحقيق أول الطريقة وما قبل ذلك كالدهليز للسالك اليه ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى انهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيق عنها نطاق النطق ولا يحاول معبر أن يعبر عنها الا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه وعلى الجملة ينتهي الامر الى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول وكل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذلك خطاء وقد بينا وجه الخطأ فيه في كتاب المقصد الاقصى بل الذي لابسته تلك الحالة لاينبغي أن يزيد على أن يقول (شعر)

وكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وبالجملة فمن لم يرزق منه شيئاً بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة الا الاسم وكرامات الأولياء على التحقيق بدايات الانبياء وكان ذلك أول حال رسول الله عليه السلام حين أقبل الى جبل حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد حتى قالت العرب أن محمداً عشق ربه وهذه حالة يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها فمن لم يرزق الذوق فيتيقنها بالتجربة والتسامع إن أكثر معهم الصحبة حتى يفهم ذلك بقرائن الأحوال يقيناً فمن جالسهم استفاد منهم هذا الايمان فهم القوم لايشقى جليسهم ومن لم يرزق صحبتهم فيعلم امكان ذلك يقيناً بشواهد البراهين على ماذكرناه في كتاب عجائب القلب من كتب احياء علوم الدين والتحقيق بالبرهان علم وملابسة عين تلك الحالة ذوق والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن ايمان فهذه ثلاث درجات (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ووراء هؤلاء قوم جهال هم المنكرون لاصل ذلك المتعجبون من هذا الكلام يستمعون ويسخرون ويقولون العجب انهم كيف يهذون وفيهم قال الله تعالى (٤٧: ١٦ ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) اه المراد من كلامه

أقول هذا ما رأينا أن نبين به كيفية نشأة هذا الامام وطلبه العلم وتربيته لنفسه واننا نحكي فيما يلي ذلك أثر هذا التعليم والتربية وما استقر عليه رأي الرجل في العلم والدين (لها بقية)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أثارة من التاريخ

بغداد في القرن السادس

ومجلس شيخا الشافعية والحنابلة رضي الدين القزويني وابن الجوزي

قال الكاتب الأديب أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الاندلسي البلنسي في رحلته الشهيرة في الفصل الذي أنشأه للكلام عن بغداد :

« هذه المدينة العتيقة وان لم تزل حضرة الخلافة العباسية ، ومثابة الدعوة الامامية القرشية الهاشمية ، قد ذهب أكثر رسمها ، ولم يبق منها الا شهير اسمها ، وهي بالإضافة الى ما كانت عليه قبل إنحاء الحوادث عليها ، والتفات أعين النوائب اليها ، كالطلل الدارس ، والأثر الطامس ، أو تمثال الخيال الشاخص ، فلا حسن فيها يستوقف البصر ، ويستدعي من المستوفز الغفلة والنظر ، الا دجلتها التي هي بين شرقيها وغربيها منها كالمرآة المجلوة بين صفحتين ، أو العقد المنتظم بين لبتين ، فهي تردها ولا تظمأ ، وتتطلع منها في مرآة صقيلة لا تصدأ ، والحسن الحريمي بين هوائها وماءها ينشأ ، هي من ذلك على شهرة في البلاد معروفة موصوفة ، ففتن لهوى منها الا أن يعصم الله مخوفة ،

« وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم الا من يتصنع بالتواضع رياء ، ويذهب بنفسه عجباً وكبرياء ، يزدرون الغرباء ، ويظهرون لمن دونهم الانفة والاباء ، ويستصغرون عن سواهم الأحاديث والانباء ، قد تصور كل منهم في معتقده وخلده ، ان الوجود كله يصغر بالإضافة لبلده ، فهم لا يستكرمون في معمور البسيطة مثوى غير مثواهم ، كأنهم لا يعتقدون أن لله بلاداً أو عباداً سواهم ، يسحبون أذيالهم أشراً وبطراً ، ولا يفيرون في ذات الله منكراً ، يظنون أن أسنى الفخار ، في سحب الازار ، ولا يعلمون أن فضله بمقتضى الحديث المأثور في النار ، يتبايعون بينهم بالذهب قرضاً ، وما منهم من يحسن لله قرضاً ، فلا نفقة فيها الا من دينار نقرضه ، وعلى يدي مخسر للميزان نعرضه ، لا تكاد تظفر من خواص أهلها بالورع الخفيف ، ولا تقع من أهل مواز ينها ومكاييلها الا على من ثبت له

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الويل في سورة التطفيف ، لا يبالون في ذلك بعيب ، كأنهم من بقايا مدين قوم النبي شعيب ، فالغريب فيهم معدوم الارفاق ، متضاعف الإنفاق ، لا يجد من أهلها الامن يعامله بنفاق ، أو يهش اليه هشاشة انتفاع واسترفاق ، كأنهم من التزام هذه الخلة القبيحة على شرط اصطلاح بينهم واتفاق ، فسوء معاشرة أبنائها يغلب على طبع هوائها ومائها ، ويعلل حسن المسموع من أحاديثها وأنبائها

« أستغفر الله الا فقهاءهم المحدثين ، ووعاظهم المذكرين ، لاجرم إن لهم في طريقة الوعظ والتذكير ، ومداومة التنبيه والتبصير ، والمثابرة على الانذار المخوف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ما يحط كثيرا من أوزارهم ، ويسحب ذيل العفو على سوء آثارهم ، ويمنع القارعة الصماء أن تحل بديارهم ، لكنهم معهم يضربون في حديد بارد ، ويرومون تفجير الجلامد ، فلا يكاد يخلو يوم من أيام جمعاتهم من واعظ يتكلم فيه فالموفق منهم لا يزال في مجلس ذكر أيامه كلها لهم في ذلك طريقة مباركة ملتزمة

« فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية ، وفقيه المدرسة النظامية ، والمشار اليه بالتقديم في العلوم الأصولية ، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور فصعد المنبر وأخذ القراء أمامه بالقراءة على كراسي موضوعة فتوقوا وشوقوا وأتوا بتلاحين معجبة ، ونغمات محرجة مطربة ، ثم اندفع الشيخ الامام المذكور فخطب خطبة سكون ووقار وتصرف في أفانين من العلوم من تفسير كتاب الله عزوجل وايراد حديث رسوله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معانيه ، ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب فأجاب وما قصر ، وتقدم وما تأخر ، ودفعت اليه عدة رقاع فيها (١) فجمعها جملة في يده وجعل يجاوب على كل واحدة منها وينبذ بها الى أن فرغ منها وحان المساء فنزل وافترق الجمع . فكان مجلسه مجلس علم ووعظ وقورا هينا لينا ظهرت فيها البركة والسكينة ، ولم تقصر عن

١) كذا في الأصل وفي نسخة الاخرى « منها » ولعل الاصل « فيها مسائل — أو — أسئلة » فسقط لفظ مسائل من الناسخ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إرسال عبرتها فيه النفس المستكينه ، ولا سيما آخر مجلسه فانه سرت حميا وعظه الى النفوس حتى أطارتها خشوعا ، وفجرتها دموعا ، وبادر التائبون اليه سقوطا على يده ووقوعا ، فكم من ناصية جز ، (١) وكم مفصل من مفاصل التائبين طبق بالموعظة وحز ، فبمثل مقام هذا الشيخ المبارك ترحم العصاة ، وتتقمد الجناة ، وتستدام العصمة والنجاه ، والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن مقامه ، ويتغمد ببركة العلماء الأولياء عباده العاصين من سخطه وانتقامه ، برحمته وكرمه انه المنعم الكريم لارب سواه ، ولا معبود إلا إياه ،

« وشهدنا له مجلسا ثانيا إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور وحضر مجلسه ذلك اليوم سيد العلماء الخراسانية ، ورئيس الأئمة الشافعية ، ودخل المدرسة النظامية بهز عظيم وتطريف آماق (٢) تشوقت له النفوس فأخذ الامام المتقدم الذكر في وعظه مسرورا بحضوره ومتجملا به فأتى بأفانين من العلوم على حسب مجلسه المتقدم الذكر . ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخجندي المتقدم الذكر في هذا التقييد (٣) المشتهر المآثر والمكارم ، المقدم بين الأكابر والأعاظم ،

« ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي بإزاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي وهو يجلس به كل يوم سبت فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد ، وفي جوف الفرا كل الصيد ، آية الزمان ، وقرة عين الايمان ، رئيس الحنبلية ، والمخصوص في العلوم بالرتب العلية ، إمام الجماعة ، وفارس حلبة هذه الصناعة ، والمشهور له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعه ، مالك أزمة الكلام

---

(١) كان التائب في ذلك العصر يجز ناصيته . وأما جز المفصل الذي بعده فهو مجاز (٢) العبارة غير مفهومة ولعل فيها تحريفا أو تصحيفا ولا يبعد أن يكون أصل « تطريف » تطريق بالقاف وأن يكون استعملها بمعنى الإطراق . والخجندي بضم الجيم وفتح الخاء (٣) يريد بهذا التقييد كتاب الرحلة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في النظم والنثر، والغائص في بحر فلك على نفائس الدر، فأما نظمه فرضي الطباع، مهياري الانطباع، واما نثره فيصدع بسحر البيان، ويعطل المثل بقس وسحبان،

«ومن أكبر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر ويبتدئ القراء بالقراءة وعددهم نيف على العشرين قارئا فينتزع الاثنان أو الثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسق بتطريب وتشويق فاذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات الى أن يتكاملوا قراءة وقد أتوا بآيات مشتبهات لا يكاد المتقد الخاطر يحصيها عددا أو يسميه نسقا . فاذا فرغوا أخذ هذا الامام الغريب الشأن في ابرد خطبته عجلا مبتدرا، وأفرغ في أصداف الاسماع من ألفاظه درا، وانتظم أوائل الآيات المقروآت في أثناء خطبته فقرا، وأتى بها على نسق القراءة لا مقدما ولا مؤخرا، ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها . فلو أن أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء به آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك فكيف بمن ينتظمها مرتجلا، ويورد الخطبة القراء بها عجلا، (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * ان هذا لهو الفضل المبين) فحدث ولا حرج عن البحر، وهيهات ليس المخبر عنه كالمخبر،

«ثم انه أتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر طارت لها القلوب اشتياقا، وذابت بها الانفس احتراقا، الى أن علا النشيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يلقي ناصيته بيده فيجزها ويمسح على رأسه داعيا له . ومنهم من يغشى عليه، فيرفع في الاذرع اليه، فشهدنا هولا يملأ النفوس إنابة وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة، فلو لم نركب ثبج البحر، ونقتحم مفازات القفر، الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة، والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على ان من بلقاء من تشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله،

«وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل وتطير الى الرقاع فيجاوب أسرع من طرفة عين . وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا إله سواه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم شاهدنا مجلسا له ثانيا له بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر بباب بدر في ساحة قصور الخليفة ومناظره مشرفة عليه وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة وخص بالوصول اليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحرم . ويفتح الباب للعامة فيدخلون الى ذلك الموضع وقد بسط بالحصر . وجلوسه بهذا الموضع كل (يوم) خميس . فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور وقعدنا الى أن وصل هذا الحبر المتكلم فصعد المنبر وأرخى طيلسانه عن رأسه تواضعا لحرمة المكان وقد نشر القراء امامه على كراسي موضوعة فابتدروا القراءة على الترتيب وشوقوا ماشاؤا ، وأطربوا ما أرادوا ، وبادرت العيون بإرسال الدموع ، فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات ، صدع بخطبته الزهراء الغراء وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منتظمات ، ومشى الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب الى أن أكملها وكانت الآية (٤٠ : ٦١ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس) فنادى على هذا البين ، وحسن أي تحسين ، فكان يومه أعجب من أمسه ، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته وكنى عنها بالستر الأشرف ، والجناب الأرأف ، ثم سلك سبيله في الوعظ كل ذلك بديهة لا روية . ويصل كلامه في ذلك بالآيات المتروات على النسق مرة أخرى . فأرسلت وابلها العيون ، وأبدت النفوس سر شرفها المكنون ، وتطارح الناس عليه بذنوبهم مترفين ، وبالتوبة معلنين ، وطاشت الالباب والعقول ، وكثر الوله والذهول ، وصارت النفوس لا تملك تحصيلا ، ولا تميز معقولا ، ولا تجد للصبر سبيلا ،

ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرحة التشويق ، بديعة الترقيق ، تشغل القلوب وجدا ، ويعود موضوعها النسيبي زهدا ، وكان آخر ما أنشده من ذلك وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام ، وأصابت المقاتل سهام ذلك الكلام

أين فؤادي اذا به الوجد وأين قلبي فما صحا بعد

ياسعد زدني جوى بذكرهم بالله قل لي فديت ياسعد

ولم يزل يرددها والانفعال قد أثر فيه ، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من فيه ، الى أن خاف الاقدام ، فابتدر القيام ، ونزل عن المنبر دهشاً عجلان ، وقد أطار القلوب وجلا ، وترك الناس على أحر من الجمر ، يشيعونه بالمدامع الحمر ، فمن معلن بالانتحاب ، ومن متعفر في التراب ، فياله من مشهد ما اهول مرآه ، وما أسعد من رآه ، نفعنا الله ببركته ، وجعلنا ممن فاز بنصيب من رحمته ، بمنه وفضله » ثم ذكر أنه حضر له مجلسا ثالثا وأثنى عليه وفضله على كل من رأى في الحجاز والعراق وفضل وعاظ الشرق على وعاظ الغرب أهل بلاده (الاندلس)

**

العبرة في هذه الأثارة التاريخية من وجوه

أحدها — أن بغداد لما ضعفت مدنيتها ، وتضاءلت العلوم والمعارف فيها ، أعقب ذلك أهلها فسادا في الاخلاق ، وشرها في الارتزاق ، وعجبا بما كان على عهد الآباء ، واحتقارا للغرباء ، وقد كانت في أيام حياتها العلمية تقدر كل أحد قدره حتى كان يجيئها الغريب فيكون رئيس العلماء فيها فيذعنون له و يعترفون بإمامة وهذه سيرة الغزالي حجة الاسلام حجة على ذلك . فليعتبر بذلك دعاة العصبية الجاهلية بمصر ليعلموا ان هذه العصبية من علامات الموت لا من آيات الحياة ولو كان عند أسلافنا شيء من هذه العصبية لما أصابوا من العلم والمدنية شيئاً مما أصابوا

ثانيها — أن الزمن الذي زار فيه بغداد ابن جبير ووصفها فيه بالانحطاط والتأخر مما كانت حتى تمثل فيها بقول أبي تمام « لا أنت أنت ولا الديار ديار » هو الزمن الذي كان فيه من بقايا العلماء فيها مثل رضي الدين القزويني وابن الجوزي فمن لنا الآن بمثلهما وقد مر بك التنويه بشيء من فضلهما

ثالثها — أن أكابر العلماء وأئمتهم كانوا لا يزالون يعقدون مجلس الوعظ للعامة وقد صار كبار علمائنا في أكثر البلاد يستنكفون عن الوعظ و يعدونه مزريا بهم حتى عم الفساد وعز المخالف فيه وقد بذل الاستاذ الامام رحمه الله تعالى جهده في إحياء هذه السنة الحسنة سنة الوعظ والتذكير بترغيب العلماء فيها بالقول وبما سعى من ترتيب المرتبات لها من الاوقاف ولكن لا تكاد تجد في العلماء من له قلب يبعثه الى العمل وانا لنعلم أنهم يشعرون من أنفسهم بالعجز عن الوعظ النافع ولو وجد الباعث

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النفسي لأتقن ذلك كثيرون

رابعها — أن وعاظ ذلك العصر كانوا يعظون الناس بالكلام الفصيح المشتمل على الاشارات الى الآيات والأحاديث ووقائع التاريخ (وسننشر في المنار نموذجا من وعظ ابن الجوزي) وكان العوام يفهمون كلامهم ويتعظون به وقد سمعت خبر كثرة التائبين في مجالس الوعظ . أما الآن فقد جهلت اللغة حتى انك لتجد أكثر المتعلمين لا يفهمون الكلام البليغ والاساليب العالية حق الفهم فما بالك بالاميين . فوالهفي على تلك القلوب الرقيقة ، والفطر السليمة ، والسير القويمة ، على أن ضعف الفاعل ، قد صار أشد من ضعف القابل ، فالعوام لا يزالون يفهمون بالاجمال من الواعظ المحسن الذي يتحرى السهولة ويراعي درجة استعدادهم ما يتعظون به ويتذكرون ولكن لا نكاد نجد هذا الواعظ في الخاصة لا لسبب الا عدم اهتمامهم بأمر العامة وغيرتهم على الدين . وقد جربنا وعظ العامة وتذكيرها فرأينا من الاستعداد ما نجزم معه بأن إحياء سنة الوعظ تحيي الدنيا وتصلح الاخلاق في زمن قليل

خامسها — ان الخليفة ونساءه كانوا في ذلك العصر يعنون بسماع الوعظ الذي يلقى على العامة مع شدة ما أحدثوا من التعجب الذي كان من أسباب زوال سلطتهم واختلال أمر الامة بكثرة السلاطين المستبدين فأين ذلك من ملوكنا وأمرائنا اليوم وسلطان المغرب الاقصى يعتقد كما يعتقد الجمهور من خاصته انه اذا قرىء تفسير القرآن في بلادهم يموت السلطان !! أفيرجى بقاء مملكة يعتقد خواصها هذه الخرافة وماهي الا واحدة من ألوف من خرافاتهم ، وأما الامراء المتفرنجون ، فلهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، وبها مشغولون ، فماذا تقول في نساء الملوك والأمراء وعدم سماعهم شيئا من أمر الدين

وقد يقول قارىء تلك الأثارة ان ابن جبير ذكر من فساد أخلاق أهل بغداد ما ذكر ثم ما عتم ان ذكر ان الذين يتوبون منهم في كل مجلس وعظ كثيرون فقد ناقض نفسه . ويجيب عن ذلك بأن الذين كانوا يسمعون الوعظ لم يكونوا كلهم من أهل بغداد نفسها بل كان فيهم كثيرون من الضواحي والقرى القريبة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بل كانت الرواحل تشد الى أمثال هؤلاء الوعاظ من الاماكن البعدة كما يعلم من التاريخ الى أن كثرة التائبين والصالحين في بلد عظيم كبغداد لا ينافي كون المعصاة فيها أكثر أو كون المعاصي فاشية فيها

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ س ٤٤ عن هلال الصوم والفطر من سواكن (السودان) ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي مستجدا بعده

حضرة الاستاذ الفاضل رب العلوم ومعدن الفهوم الحسيب النسيب السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الغراء حفظه الله وتولاه

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد اشكلت علينا مسئلة منذ أعوام وكثر الهرج لاجلها فأحببت ان أقدمها لجنابكم سائلا حلها واجابتي عنها جوابا شافيا وافيا على صفحات المنار ليهتدي كل من استهدى به . وذلك عند حلول رمضان واثبات الصوم أو الفطر حتى افترق أهل البلدة لثلاث فرق واليك نبأهم بالتفصيل

(الفرقة الاولى) تحتج بظهور هلال رمضان أو الفطر عيانا في قطرها وثبوته بالتواتر كما هو مقرر بالكتب الفقهية فاذا ثبت هلاله صامت وكذا افطرت واذا غم أكملت عدة شعبان ثلاثين يوما وهؤلاء هم فقهاء البلدة ومشايخهم

(الفرقة الثانية) تعتمد في صومها وافطارها على قنابل الحكومة المطلقة ابتداء بحلول رمضان أو الفطر محتجة بأن هذه القنابل لا تطلق الا باذن شيخ الاسلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعد ثبوت هلال الشهر لديه ويصل الى البلاد الأخرى على لسان البرق

(الفرقة الثالثة) تعول في صومها وافطارها على قاعدة منسوبة للامام جعفر الصادق «رضه» وهي في كتاب عجائب المخلوقات للقزويني ونصها «قال جعفر الصادق «رضه» اذا أشكل عليك أول شهر رمضان فعد الخامس من الشهر الذي صمته في العام الماضي فانه أول يوم من شهر رمضان الذي في العام المقبل وقد امتحنوا ذلك خمسين سنة فكان صحيحا» اه من عجائب المخلوقات

فارجو الاستاذ افادتي عن المسئلة هذه مبينا وجه الحق في الاتباع وأرجو ان لا تحيلونا على ما مضى اذا سبق في هذا الموضوع جواب ليحق الله الحق ويخرجنا من ظلمة التقليد بساطع أنوار الحق التليد والسلام ؟ كتبه الفقير

٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٥ عبد القادر ملا قلندر البخاري

(ج) كتبنا في باب الاخبار النبوية الواردة في الصيام فصلا فيما يثبت به الصيام والفطر هذا نصه (ص ٨١٤ م ٦) وعدد الاحاديث فيه تابع لما قبله

﴿ فصل فيما يثبت به الصوم والفطر ﴾

(٧) جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اني رأيت الهلال رمضان فقال: «أتشهد أن لا اله الا الله»؟ قال نعم قال «أتشهد أن محمدا رسول الله»؟ قال نعم. قال «يا بلال أذن في الناس أن يصوموا غدا» رواه الشيخان واصحاب السنن عن عكرمة عن ابن عباس. وفي رواية لأبي داود فأمر بلالا فنادى في الناس أن يصوموا وان يقوموا. وفي حديث آخر عند أبي داود أن النبي عليه السلام اكتفى مرة بشهادة ابن عمر في الصيام. وهو حجة على ثبوت الصوم بشهادة رجل واحد

(٨) عن ربعي بن خراش عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: اختلف الناس في آخر يوم من رمضان فقدم اعرابيان فشهدا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالله لأهلا الهلال أمس عشية فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس أن يفطروا. رواه أحمد وأبو داود وزاد في رواية. وان يغدوا الى مصلاهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٩) قال صلى الله عليه وآله وسلم . « اذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فافطروا فان غم عليكم فاقدروا له » رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر . وفي رواية للبخاري وغيره « الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين » وفي رواية لمسلم وغيره « الشهر هكذا وهكذا » وأشار بالعقد الى ٢٩ و ٣٠ وفي لفظ الشيخين « صوموا لرؤيته فان غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » وظاهر ان الكلام في رؤية الهلال وعدمها . ومعنى اقدروا له احسبوا وقدروا يقال قدره (من بابي ضرب ونصر) واقدره وقدر له وغبي هنا بمعنى غم في الروايات الاخرى أي لم يظهر . والاحاديث نص في أن العبرة برؤية الهلال لا بحساب الحاسبين وتقاويم المنجمين وذلك ان هذا الدين عام للبدو والحضر فوجب أن تكون مواقيت عباداته معروفة عند عامة المكلفين ، غير مخصوصة بطائفة الحاسبين ، وجاء في بعض الروايات « وانسكوا له » فمواقيت الحج تعرف برؤية الهلال أيضا

(١٠) عن كريب ان أم الفضل بعثته الى معاوية بالشام (قال) فقدمت فقضيت حاجتها واستهل علي رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبدالله بن عباس ثم ذكر الهلال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة فقال: أنت رأيته؟ فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية فقال: ولكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه: فقلت: ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ قال: لا — هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الاربعة الاظهر ان المشار اليه بقوله « هكذا أمرنا رسول الله » هو قوله « لكنا رأيناه ليلة السبت » الخ فانه هو المنطوق الموافق للمروي وقيل انه أشار الى ما يفهم من قوله من عدم اعتداد أهل بلد برؤية أهل بلد آخر وهو غير مروي في المرفوع ولا هو صرح به فنكتفي بروايته فالراجح اذاً حمل قوله على المروي المعروف . وقد اختلف علماء السلف في المسألة فقيل يعتبر كل أهل بلد رؤيتهم بعدت البلاد أو قربت وقيل لا يلزم أهل بلد العمل برؤية أهل بلد آخر الا اذا ثبت عند الامام الاعظم فبلغه لان حكمه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

افذ في جميع البلاد وقيل ان تقاربت البلاد كان حكمها واحد وان تباعدت عمل كل برؤيته واختلفوا في حد البعد فبعضهم ناطه باختلاف المطالع وهو الوجه العلمي و بعضهم ناطه بمسافة القصر وهو قياس فقهي وقد رجح النووي وغيره من الشافعية كل واحد من القولين وقطع بكل منهما جماعة من الفقهاء

ونقول اذا اختلفت الرؤية في البلاد المتقاربة فان كان هناك حاكم شرعي ورجح شهادة و بلغها الناس وجب ان يعتمدوا عليها ولا يلتفتوا الى رؤية الآخرين لينضبط الامر ولا يكونوا افوضى في اقامة ركن من أركان دينهم هذا صائم وهذا مفطر، وان اختلفت في البلاد المتباعدة فهناك النظر والاجتهاد وقد رأيت ان بعضهم اعتبر البعد باختلاف مطالع القمر و بعضهم اعتبره بمسافة القصر والاول يستلزم تحكيم علماء الفلك وقد ذكرنا ان غرض الشرع ان يجعل ما تعرف به مواقيت العبادة عاما يعرفه العوام والخواص حتى لا يتحكم الكبراء في المسائل الدينية كما فعلوا في الامم السالفة والثاني يمكن أن يتجه لو ورد حديث يذكر فيه اختلاف الحكم ببعد البلاد فيقال حينئذ ان مسافة القصر هي البعد الشرعي الذي تختلف به الاحكام. وهناك وجه آخر في البعد والقرب ربما كان أجدر بالاعتبار وهو ان البلاد المتصلة التي بين أهلها امتزاج وتعامل كالبلاد المصرية كلها تعد بلاد امنفار بقولا ينبغي ان يكون بعض أهلها مفطرا و بعضهم صائما بحجة اختلاف الرؤية فاذا ثبتت الرؤية في بعضها يصوم الجميع والا أكملوا عدة شعبان ثلاثين وصاموا متفقين وما يفعلونه الآن في الاقطار الاسلامية من الاثبات في مكان واعلام الآخرين به حسن في ذاته وغير حسن ما يختلف به من البدع. وأما البلاد التي لا صلة بينها قوية سهلة ولا تعامل بينها الا بمهاجرة بعض أهلها من أحداها الى الاخرى فلا بأس باعتبار كل ما يثبت عنده ون تيسر اعلام كل قطر الآخر بنبأ البرق الذي يؤمن تزويره، ولو كان للمسلمين امام أعظم ينفذ حكمه الشرعي في جميع بلادهم وتيسر له اعلامهم بما يثبت عنده من الرؤية وصاموا بذلك لكان له وجه من الحسن واتجه قال ابن الماجشون اهـ في المجلد السادس وقد سقط من آخره شيء وأصله واتجه ما قاله ابن الماجشون من أنه لا يلزم أهل بلد برؤية غيرهم الا أن يثبت ذلك عند الامام الاعظم لأن البلاد في حقه كالبلد الواحد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لنفوذ حكمه فيها » وجملة القول أن العبرة بالرؤية او اكمال العدة فاذا ثبتت عند الحاكم وأعلم بها الناس عملوا بإعلامه

سؤالان أو أسئلة من « جاوه »

عتق جميع العبيد والاذن بتزويج المعتوقات

أرسل الي بعض أهالي سليبس هذان السؤالان والتمس مني ارسالهما اليكم لكي تنشروهما في المنار مع الجواب وهما الاول في الاعتاق والاذن بالتزويج بصيغة الجمع (س ٤٥و٤٦) انه لما استولت حكومة هولندا على جزيرة سليبس وأخذت سلطان بوني أسيرا كان لديه أرقاء كثيرون وكذلك أهالي تلك الجهة لديهم كثير من الأرقاء فلما استولت هولندا على تلك النواحي هرب أولئك المماليك وتركوا مالكيهم فما قولكم رضي الله عنكم فيمن أعتق أرقاءه بصيغة الجمع قائلا: إني أعتقت جميع مما يلكي وجعلتهم احرارا لوجه الله ذكورا وإناثا . واذا أذن المعتق بتزويج معتوقاته قائلا : إني أذنت لكل من يتولى عقود الانكحة من قضاة المسلمين أن يزوج كل معتوقة لي عند عدم وليها الشرعي على من تريد : فهل يكفي في كل الاعتاق والاذن بالتزويج صيغة الجمع أم لا أفيدونا ولكم الأجر والثواب

الثاني من صلى بالناس الجمعة في مرض النبي (ص)

(س ٤٧) لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي به فمن صلى بالناس الجمعة التي وقعت في حال مرضه (ص) ومن الذي خطب بهم الخطبة أفيدونا مأجورين

الجواب عن السؤالين الاولين

يصح العتق بصيغة الجمع ويتناول كل فرد لا نعلم في ذلك خلافا . وأما الاذن بالتزويج ففيه تفصيل فاذا أرادت المعتقة أن تتزوج في بلد ليس لها فيه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولي غير مولى العتاقة وقامت البينة عند القاضي على ذلك الاذن كان له أن يزوجها واذا لم تقم عنده بينة طلبه ليزوج هو وأما اذا كان المولى غائبا ولا ولي سواه فللقاضي أن يزوج سواه كان هناك اذن أم لا لأن الولاية له حينئذ

﴿ الجواب عن السؤال الآخر ﴾

قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم مرض مرض الموت في اواخر صفر أو أوائل ربيع الاول وقالوا ان المرض قد اشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال وقالوا انه توفي حين اشتد الضحى من يوم الاثنين وقالوا ان أبا بكر رضي الله عنه هو الذي كان يصلي بالناس بأمره عليه الصلاة والسلام في المدة التي لم يكن يستطيع الخروج فيها وقالوا انه خرج في صبيحة يوم الاثنين وأبو بكر يصلي الصبح بالناس فضحك سرورا برؤيتهم وكادوا يفتتنون في صلاتهم فرحا به اذ ظنوا انه عوفي وأراد أبو بكر ان يتأخر ليتم صلى الله عليه وسلم الصلاة بالناس فأشار اليه بأن يمضي في صلاته

وقال بعضهم ان أبا بكر صلى في الناس سبع عشرة صلاة ولم أرا حدا قال ان منها صلاة الجمعة . ورأيت في الاحياء ان ابتداء الاذن لأبي بكر رضي الله عنه بالصلاة بالناس كان في أول ربيع الأول فاذا كانت وفاته صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر منه كما هو المشهور فالصلوات التي أم أبو بكر بها الناس كانت متفرقة ومنها الليالي التي اشتد بها المرض فلا عجب اذا كان صلى الله عليه وسلم هو الذي صلى بالناس آخر جمعة من أيام حياته الشريفة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

باب المناظرة والمراسلة

الانتقاد على المنار

(العصبية الجنسية واللواء)

أرسل الينا بعض طلبة مدرسة الحقوق مقالا من الاسكندرية عنوانه «المنار والسياسية والدين» ولكن موضوعه الدفاع عن صاحب جريدة اللواء، واطراؤه بالمدح والثناء، ومؤاخذة المنار على إنكاره عليه ما أدخله في دعوة الوطنية، من نزغات العصبية الجنسية الجاهلية، وإقامته الحجج على ان ذلك مناف لما قرره الاسلام من أخوة الدين ومن الحقوق الأخرى لكل مقيم في دار الإسلام أيا كان جنسه . ذكره بذلك ما كتبناه في الجزء الماضي ردا على فريد أفندي وجدي

قال الكاتب « أما بعد فإن لي كلمة يدفعني الشعور بالواجب ان أقولها لكم وهي وان كانت لا تتفق الى الآن مع رأيكم الا ان لي ملء الثقة في انكم لا ترفضون كل ما يخالفكم لما ناديتم بذلك كثيرا وشهدناه منكم غير مرة فانا أرسل اليكم تلك الكلمة معتقدا أني أخدم بها الحق كما أخدم بها المنار فرجائي أن تنشروها في مجلتكم ولكم بعد ذلك أن تعلقوا عليها ما شئتم أن تعلقوا »

نقول اننا لا نرفض كل ما يخالفنا ولا ننشر كل ما يوافقنا وانما نختار ما نرى فيه الفائدة من الامرين ومنه الانتقاد علينا في المسائل الدينية والعلمية ممن يبحث في المسألة نفسها لا في اعتقاده بنية صاحبها وشؤونه الخاصة فلو كان الكاتب جعل مقالته في انتقاد رأينا في العصبية الجنسية لنشرناها ولكن معظمها في بيان اعتقاده في صاحب جريدة اللواء وما يرجوه من سعادة البلاد بدعوته وهو ما نعتقد خلافه . فهو يذكر اعتقاده فيه ويقول « فماذا تنتقدون عليه في ذلك وماذا ترون فيه مما يخالف روح الدين » كأنني بانتقاد العصبية الجنسية الجاهلية عليه انتقدت عليه كل شيء يقوله . وقد غلا في ذلك حتى حكم بأنني أعد المبادي التي تنهض بها الامم — وهي مبادي صاحب جريدة اللواء في رأيه — مخالفة للاسلام وانني أجعل الحياة الوطنية عين العصبية الجنسية الجاهلية وبذلك أكون منفرا عن الاسلام .

وهذا غير صحيح فما فائدة التطويل بشرح رأي غير منطبق على الواقع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ليس في المقال دفاع حقيقي عن صاحب جريدة اللواء في موضوع العصبية الجنسية الا إنكار أن تكون مما يدعو اليه قال « لعلكم تريدون بذلك مايطعن به على الدخلاء وتحذير المصريين منهم في اللواء . ان كنتم تريدون ذلك — وهو الواقع — فما أبعد دعوته عن عصبية الجنسية !! لان مصطفى كامل باشا قد عرف معنى الدخلاء غير مرة وفهم ذلك عنه الكثيرون من قراء اللواء فهو يعني بالدخيل من يزج بنفسه في أهل أمة ويسعى في ضررهم وهو يطلق هذا اللفظ على فئة من نصارى سوريا رأينا من أعمالهم أنهم يحملون في صدورهم أقبح النيات نحونا سعيا وراء مصالحهم وأهوائهم » ثم ذكر انه ان كان قد أدمجنا في تلك الزمرة فما ذلك الا لاعتقاده أننا نفعل فعل تلك الزمرة وانا لانخلص في فائدة الأمة المصرية ثم استدل على ذلك باجلاله لبعض السوريين كرفيق بك العظم

أقول ليست العصبية الجنسية في اللواء مأخوذة من كلمة الدخلاء التي جعلها هجيراه فقط بل نرى روحه فائضة بهذه العصبية التي جعلها مضادة للسوريين بوجه خاص فما غاضت آونة لعدم المحرك الا وفاضت أخرى . وقد ظنت حتى تجاوزت السوريين المقيمين في مصر الى غيرهم كما ظهر ذلك عند ماطل تألب العساكر السورية المسوقة الى اليمن بخسة المنبت . وقد ظهر أثرها في الأغرار المخدوعين بجعجعة هذه الجريدة حتى صار مثل محمد فريد أفندي وجدي لا يسمح لمحمد رشيد رضا أن يتكلم في شؤون الأمة المصرية بل ولا في شؤون ملتها ولا يجد أحدا ينشر له هذا الا اللواء صاحب الدعوة وناشرها . وان مثل هذه العصبية يكون مظهرها في اللسان أقوى منه في الكتابة وقد سمعنا من خاصة أصدقائنا الفضلاء من المصريين أنها قد قويت حتى صار بعض المتعلمين بل والمعلمين يعدلون من اخوانهم من يعترف بفضل سوري أو يخلص له في الصداقة ورأينا أهل الفضل والدين من المصريين يألمون لطروء هذه النزعة الجاهلية على المسلمين . ولعل المنتقد قد قرأ ما كتبه بعض اخوانه طلاب الحقوق في بعض المجلات المحدثة من كونهم يطلبون بيان الدين والدفاع عنه من المصريين !!!

بل وصل شر العصبية الجاهلية الى بعض علماء الازهر الذين يعيشون فيه مع طوائف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسلمين من جميع الاقطار حتى قال أحد كبرائهم مرة عندما مدح أمامه « مسجد الست الشامية » في موقعه ونظافته : نعم ولكن من الاسف أنهم حشوه بالشوام: وهو وان بناه الشوام ووقفوه ووقفوا عليه ليس فيه مستخدم شامي الا الخطيب الصالح الذي يقصد المسجد لأجله من الاماكن البعيدة ممن لم تفسد دينهم عصبية الجاهلية . أتدري من هو ذلك العالم ؟ انني لا اسميه وإنما أقول لك انه صديق صاحب جريدة اللواء من علماء الازهر الذي كان يزوره كما يزوره هو

بل ارتقى صاحب جريدة اللواء بهذه العصبية الى مستوى اسمى فصرح بأن أمير البلاد أشار في خطبته يوم خلع على الشربيني خلعة مشيخة الازهر الى وجوب خروج صاحب المنار من مصر لأنه هو الغريب الذي هو غير راض عن طريقة التعليم في الازهر

على أننا لو سلمنا أن اللواء لا يعني بالدخلاء الذين ينفر عنهم ويبغض فيهم غير فئة من نصارى السوريين كما يرى انتقد الحسن الظن لما كنا الا قائلين بأنه مخطىء خطأ ضاراً بالبلاد لأن أول من يخطر بالبال من هذه الفئة أصحاب المقطم وهم لم يذهبوا مذهبهم المعروف في السياسة لأجل فائدة سوريا ومصلحتها حتى يقال انه مذهب سوري ويذم منتحله بأنه او لأنه سوري أو دخيل ؟ كلا انه ما ذهب أحد منهم هذا المذهب لأنه سوري دخيل في البلاد المصرية يتعصب عليها وعلى أهلها ليحول مصالحها ومنافعها الى وطنه وانما قصارى سوء الظن فيهم أن يكونوا يلتمسون بهذا منفعتهم الخاصة فما معنى نبزهم بلقب الدخلاء وجعل ذلك علة لعداوتهم للمصريين ؟

أليس من المقرر في علم الأصول والمعروف عند أرباب الاذواق والعقول ان ترتيب الحكم على المشتق يؤذن بعلية ما منه الاشتقاق ؟ أليس الاسم المنسوب من قبيل المشتقات ولذلك يعمل عمل اسم المفعول ؟ فبهذا تبين أن ترتيب الطعن في قوم على كونهم سوريين دخلاء يؤذن بأن كونهم سوريين هو علة ذلك الطعن وما ترتب عليه وحينئذ يكون طعنا في جميع السوريين من حيث هم سوريون وهو على كونه خرقا وأفنا في الرأي ضار لأنه تاريث عداوات وضغائن بين أهل قطرين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

متجاورين في الأرض متساوين في اللغة والتابعة العثمانية متقاربين في العادات وأكثر أهلهما مع هذا متفقون في الدين

ان السوريين المقيمين بمصر وحدهم لا يستهان بعداوتهم فانهم أصحاب قوة مالية تقدر بنحو خمسين مليون جنيه وقوة أدبية لا تحتاج الى تعريف . وما من أحد منهم يعد من أصحاب الرأي والاشراف على أحوال العصر الا وهو يعتقد بأن خطة جريدة اللواء تمنعه من المصريين موضع العدو من عدوه . ومن هؤلاء من هو مخالف لاصحاب المقطم في الرأي والسياسة ومنهم من يبغضهم ويطعن فيهم أي قول قال به أصحاب المقطم وليس في المصريين مسلمهم أو قبطهم من يقول بمثله فما بالك بسائر الشعوب التي يوجد منها ألوف تقيم في مصر ولهم جرائد تخالف رأي اللواء كما تخالفه المقطم وهي أشد خلافا فلماذا لا ينوط ذنبها في رأيه بكون أصحابها من جنس كذا أو من بلاد كذا ؟؟

ان كل أجنبي بمصر يرى جنسه أشرف من الجنس المصري وأجل من ان يخضع لقانونه وهو يعمل في هذه البلاد لأمته وبلاده وما أصابه من الثروة ينقلب به الى أهله . والسوري يرى نفسه شقيقا للمصري ومساويا له في كل شيء وقلما يرجع سوري الى بلاده بما كسب من مال ولكن كثيرا منهم جاؤا الى مصر بأموال عظيمة لا سيما في هذه السنين الاخيرة . فلأي شيء يعد اللواء ذنب الواحد منهم عارا عليهم . وما هو الفرق بين السوري والمصري والافرنجي في ذلك؟ على ان جميع الاجناس صارت تشعر بأن اللواء يدعو الى عدوانها بل طفقوا يعتقدون أن المصريين يبغضون كل غريب فما أشأم اللواء

المتعصر للواء يرى ان خطته هي التي تنجح بها الامم وأنه لا نجاح بسواها ونحن نرى ضد ما يرى وما توسعنا في مسألة الجنسية الآن وقبل الآن الا لأنها منافية لروح الاسلام من جهة ولمصلحة المصريين ثم السوريين من جهة أخرى ولو شئنا لبينا تنفير هذه الخطة جميع الاوربيين من المصريين وكيف جعلتهم عونا للانكليز عليهم بعد أن كانوا عونا لهم على الانكليز، وبينا كيف شغلت هذه الخطة المصريين بالسياسة العقيمة عن الطريقة المستقيمة وغير ذلك مما انكر على هذه الجريدة المشهورة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وصاحبها ولكننا ندع ذلك للأيام ، فهي التي تكشف للناس كيف كانت هذه الوطنية عبارة تبغيض المصريين الى جميع الشعوب وكثرة الفخر والدعوى والعظمة ولعل اليوم الذي تنكشف فيه الحقائق ليس ببعيد

الجرائد وتاريخ الاستاذ الامام

وصاحب جريدة اللواء

جاءتنا رسالة من الشيخ أحمد المنوفي امام الجامع الكبير بكلكته (الهند) في موضوع انتقاد ناعلى بعض الجرائد فيما كتبت عن تاريخ الاستاذ الامام أنحى فيها على صاحب جريدة اللواء إنحاء شديدا يتعلق بسيرته وسياسته كما أطراه صاحب الرسالة السابقة في ذلك . فنعتذر عن نشرها بمثل ما اعتذرنا به عن نشر تلك لأنها لاتفيد القراء وانما تفيدنا نحن وقد قرأناها وانما نذكر جملة منها على سبيل النموذج لما فيها من اعتقاد كاتبها في الاستاذ الامام عليه رضوان الله لا مجازاة للواء على شتمه ايانا مرة بعد اخرى اذ لو كان غرضنا ذلك لنشرناها برمتها . قال الكاتب في عرض الكلام على صاحب جريدة اللواء :

« ثم ازداد غلوا فجعل مداد قلمه تامور المسلمين ومهجة المصريين لا استغراب ماصدر منه من هذه اللفظة الشنيعة التي منشأها الغطرسة وسوء الادب مع أئمة الدين وقادة المسلمين الا وهي قوله « تاريخ الشيخ عبده » إذ مثل هذه اللفظة يتحاشا من كتابتها وجعلها عنوانا على امام الائمة المرحوم الاستاذ الامام أقل الناس أدبا وأشدهم تكبرا وأجلهم بحقيقة نفسه بل لا ينبغي لأديب ان يجعلها عنوانا على أصغر تلميذ فضلا عن الاستاذ الامام فما بالك بصاحب (جريدة) اللواء الذي يعتقد انه خلص المسلمين وعلى الاخص المصريين من دركه أو أخرجهم من سفل جهل وانهم لولاه لم تقم لهم قائمة » الخ ما قال ومنه عدم التفرقة بين ما يكتبه صاحب هذه الجريدة وما يكتبه خلفاؤه لأنهم كما قال الكاتب « لا يكتبون الا ما يوافق مشربه »

وجملة القول اننا لا نحب البحث في مذهب جريدة اللواء وسيرة صاحبها في سياسته ومشربه ولا نحاول إقناع المعجبين بها وبه بما نعتقد فيها لأنهم يتبعون في ذلك الاعجاب الشعور والوجدان دون الرأي والبرهان ، والوجدان يستفزه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الغلو والشذوذ ولذلك نال عبد الله أفندي نديم رحمه الله من اعجاب الجماهير وتصفيق قلوبهم وأيديهم مالم يصل الى مثله ولا الى عشره صاحب جريدة اللواء الى اليوم لأنه كان يقول لهم فيما يكتب ويخطب ان قذائف مدافع الاسكندرية تصل الى قبرص من هذه الناحية وقذائف مدافع الاستانة تصل اليها من الناحية الأخرى فكيفما جالت المراكب الانكليزية فهي تحت رحمة مدافعنا : ومصطفى كامل يهزأ بالانكليز ويهددهم بما يقرب من هذا ومتى وصل الى مثله — وماذلك ببعيد — يصير إعجاب الجماهير به أشد منه اليوم لأن إعجابهم يكون دائماً على قدر الغلو كما قلنا . ولكن اذا وقع بالبلاد منتهى مايتوقعه العقلاء من عواقب هذا الغلو — وماوقع الى اليوم ليس بقليل — أو اذا تدارك هؤلاء العقلاء الخطب قبل وقوعه وهم أولو الشأن في البلاد كما يرجى منهم فيومئذ يعلم المغرورون أن ليس كل مخالف للواء بعدوّ للبلاد ولا بدخيل ولا بضارّ بل الضارّ هو اللواء وصاحبه المتفاني في حب الشهرة والعلو لا في حب الوطن (٩:١٦ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين)

الانتقاد على محمد فريد أفندي وجدي في كتبه

٣

كنز العلوم واللغة

نكتفي في هذا الجزء بالانتقاد على مادة واحدة من مواد كتاب كنز العلوم واللغة لأن باب المناظرة لا يتسع فيه لأكثر من ذلك

أخطأ فريد أفندي وجدي فيما كتبه في لفظ (حديث) أنواعا من الخطأ تدل على أنه لاثقة بنقله وروايته كما انه لاثقة بفهمه ورأيه

(الخطأ الاول) تعريفه الحديث في الاصطلاح بقوله «والحديث في الاصطلاح أطلق على ماروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكلام» وهذا غير صحيح وهو يدل على أنه لم يتاق ولم يقرأ شيئاً من كتب الحديث مطلقا أو قرأ شيئاً قليلا لم يفهمه والصواب ان الحديث في اصطلاحهم ما أضيف الى النبي صلى الله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقريرا أو صفة ويطلق كما في النخبة على كل من المرفوع والموقوف والمقطوع (الثاني) قوله انه لم يصح عند أبي حنيفة الا سبعة عشر حديثاً فقط فان من يعرف غير هذا العدد من الصحاح لا يعترف له أحد بالإمامة والاجتهاد المطلق. نعم ان الرواية عن أبي حنيفة قليلة وفرق بين ما يروى عنه وما يصح عنده

(الثالث) قوله «انه لم يصح عند الامام مالك الا ثلاث مئة حديث» وهذا خطأ كبير فقد قال الحافظ ابن حجر كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما. وقد نقل عن الامام الشافعي ان الموطأ أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى. نعم ان الشافعي قال ذلك قبل وجود صحيحي البخاري ومسلم اللذين قدمهما العلماء بعده على الموطأ ولكن ذلك لم يخرج الموطأ عن كونه صحيحاً. وقد نقل السيوطي في تنوير الحوالك عن القاضي أبي بكر بن العربي ان الموطأ هو الاصل الاول والبخاري هو الاصل الثاني وان مالكا روى مئة ألف حديث جمع منها في الموطأ عشرة آلاف ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة (أي العملية) حتى رجعت الى خمس مئة. وعن الكيا الهراسي كان تسعة آلاف فرجع الى سبع مئة. أقول والظاهر ان الخلاف في العدد خاص بالاحاديث المسندة وهي كما نقل عن الابهري ست مئة وعن ابن حزم خمس مئة ونيف. ومجموع الاحاديث والآثار فيه ألف وسبع مئة وعشرون قال الابهري المرسل منها ٢٢٢ والموقوف ٦١٣ ومن أقوال التابعين ٢٨٥ وكل ما فيه قد صح عند مالك وان قل بعض المحدثين بعده بضعف قليل من رواياته. وقد نقل عنه انه قال «عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ» فلينظر الناظر الى مبلغ علم فريد أفندي بالآثار وجرأته على كتابة ما ليس له به علم

(الثالث) قوله «ولم يصح عند البخاري الا ٦٢٠٠ حديثاً (كذا) من أكثر من ٦٠٠٠٠٠ سمعها من الناس»

أقول لا ندري المخترع فريد أفندي وجدي هذه الاقوال اختراعا ام سأل بعض من يظن فيه العلم أن يكتب له ذلك ليفتخر بعلم غيره فكان افتخاره بالجهل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما المعروف المشهور في كتب الحديث فهو أن ما في الجامع الصحيح للبخاري هو بعض ما صح عنده وهو بالمكرر يزيد عما قال و بدونه ينقص قال الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح جميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات سبعة آلاف وثلاثة مئة وسبعة وتسعون حديثا والخالص من ذلك بلا تكرار ألفا حديث وست مئة وحديثان . ثم تكلم في احصاء المتون المعلقة المرفوعة بغير وصل . ولا يتفق زعم فريد أفندي وجدي مع عد المكرر ولا مع تركه . هذا اذا فرضنا أنه لم يصح عند البخاري الا أحاديث الجامع والصواب أنه قد صح عنده غيرها وقد صح عنه أنه قال « لم أخرج في هذا الكتاب الا صحيحا وما تركت من الصحيح أكثر حتى لا يطول »

(الرابع) قوله أول من الف في الحديث مالك في الموطأ (كذا) توفي سنة ١٧٩ وقيل ابن جريج »

والصواب أن أول من دون الحديث ابن شهاب الزهري بأمر عمر بن عبد العزيز كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح ورواه أبو نعيم في الحلية عن مالك نفسه وفي باب اكتاب العلم من الموطأ رواية محمد بن الحسن وعلقه البخاري « أخبرنا مالك أخبرنا يحيى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أبي بكر عمرو بن حزم أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم او سنته او حديث عمر أو نحو هذا فاكتبه لي فاني قد خفت دروس العلم وذهاب العلماء » . ثم انهم ذكروا أن مالكا وابن جريج من أول من صنف الحديث مرتبا على الابواب وهذا أخص من مطلق التأليف والتدوين فان الذين كتبوا الحديث على أقسام منهم من كتب ما اجتمع له كيفما اتفق ومنهم من رتبه على الابواب ومنهم أصحاب المسانيد الذين ذكروا ما أسنده كل صحابي على حدة بحسب رواياتهم ومنهم أصحاب المعاجم الذين رتبوه على حروف المعجم . وقد كان ممن الف الحديث مرتبا على الابواب في القرن الثاني مالك بالمدينة وابن جريج بمكة وسفيان الثوري بالكوفة والاوزاعي بالشام والربيع بن صبيح او سعيد بن أبي عروبة او حماد بن سلمة بالبصرة وهشيم بواسط ومعمر باليمن وجرير بن عبد بن حميد بالري وابن المبارك بخراسان . قال الحافظان ابن حجر والعراقي وكان هؤلاء في عصر واحد فلا يدري أيهم اسبق .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كذلك كتب المسند غير واحد في عصر واحد فاختلفوا في الأول منهم . فلو كان فريد افندي وجدي مطلعاً على أقوال المحدثين في ذلك لقال ان مالكا وابن جريج هما أول بل من أول من صنف الحديث مبوبا كما يقال أول — او من أول — من كتب المسند نعيم بن حماد وأسد ابن موسى وعبد الله بن موسى . وأنى لمثل فريد أفندي وجدي أن يعرف شيئا من هذه الفروق والدقائق أو مثل من وصفه بالتدقيق والتحقيق في كل ما يكتب كبعض محرري المؤيد على أن القول بسبق ابن جريج لمالك أقوى من عكسه كما أطلق ذلك غير واحد ومنه ما في التذكرة للحافظ ابن حجر عن الامام أحمد أن ابن جريج وابن أبي عروبة أول من صنف الكتب

(الخامس) قال فريد أفندي وجدي « ثم توالت بعد ذلك المجموعات السبع الشهيرة بكتب السنة الصحيحة وهي مجموعة البخاري المتوفي سنة ٢٥٦ هـ ومسلم المتوفي سنة ٢٦١ هـ وأبو داود (كذا) المتوفي سنة ٢٧٥ هو ابن ماجه المتوفي سنة ٢٨٢ هـ والنسائي المتوفي سنة ٣٣٣ والدارقطني المتوفي سنة ٣٨٥ هـ »

أقول انه ذكر ان المجموعات سبع وعد ستا فقط فلا نعد هذا عليه وانما نعد عليه انه ترك من الكتب الستة كتاب الترمذي واستبدل هو به الدارقطني وهذا يدل على الجهل المطلق بهذا العلم ولو ترك ابن ماجه لقلنا انه تركه للخلاف فيه وان جرى جميع المتأخرين على عده السادس من الستة ولكن أنى لمثله ولمن يقرظ له كتبه فيصفها بالتحقيق والتدقيق أن يعرف هذا

(السادس) زعمه ان ابن ماجه توفي سنة ٢٨٢ والصواب انه توفي سنة ٢٧٢ وقيل ٢٧٥

(السابع) زعمه ان النسائي توفي سنة ٣٣٣ والصواب انه توفي سنة ثلاث وثلاث مئة . فبأي شيء مما يكتب فريد أفندي يوثق

ان كل ما كتبه في هذه المادة لا يزيد الا قليلا عن الصفحة وقد رأيت ان معظم ما هو نقلي من ذلك فهو خطأ لأن منه الكلام في النسخ والوضع وله في ذلك عبارات لو تتبعناها وانتقدناها لفظا ومعنى لأطلنا في احصاء ما يتعذر إحصاؤه

ومن قرأ قوله في آخر هذه المادة « هذا وانا في عصر كثر فيه النبهاء وأخذ كثير منا في احتذاء مثال أئمتنا في مسألة الاحاديث من الاكتفاء بالصحيح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السليم وان كان قليلا وترك المشكوك فيه مهما كان كثيرا» من قرأ قوله هذا يظن انه هو في مقدمة هؤلاء النبهاء الذين ذكرهم ولكنه اذا تتبع الاحاديث التي يحتج بها فيما يكتب يرى انه يشكك في أصح الروايات كأحاديث الشفاعة ويعتمد في الاكثر على الاحاديث المشكوك فيها أو المقطوع بضعفها أووضعها وهو لا يعلم وسنبين ذلك في فصل مستقل ان شاء الله تعالى

آثار علمية ادبية

لباب الخيار في سيرة المختار

ألف الشيخ مصطفى الغلاييني البيروتي مختصرا في السيرة النبوية سماه بهذا الاسم وطبعه طبعاً جميلا على ورق حسن ضبط فيه بالشكل ماراه مما يشتبه فيه غير العالم فكانت صفحاته ٨٢ صفحة وهو أسهل المختصرات وأقربها الى افادة التلاميذ المبتدئين والعوام

ذكر في أول هذا المختصر ان الاسلام قام أونشر بالدعوة لا بالسيف وقسم حياة النبي صلى الله عليه وسلم الى ثلاثة أدوار ماقبل البعثة وما بعدها الى الهجرة وما بعد الهجرة وذكر المسائل والغزوات دون السرايا ونبه على مواضع العبرة في كثير من المواضع وختم المختصر بأحاديث من الحكم وجوامع الكلم بلغت ٢٢١ حديثاً رتبها على حروف المعجم . وثمن النسخة من هذه السيرة قرشان صحيحان ماعدا أجرة البريد وتطلب من مكتبة المنار بمصر

فلسفة الاسلام ومدنية القرآن

كتاب جديد يؤلفه أحمد أفندي بدوي النقاش أحد ضباط الجيش المصري في سكة الحديد السودان وقد طبع الجزء الاول منه في مطبعة الآداب والمؤيد . قد يتعجب القارئ من نسبة كتاب في الفلسفة الى ضابط مصري لاسيما اذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كان عالما بحال التعليم في المدرسة الحربية المصرية وأنه تعليم صناعي ليس فيه شيء يرقي الفكر حتى ان دراسة التاريخ قد ألغيت من هذه المدرسة منذ سنين ولا نرى جريدة من الجرائد المبالغة في انتقاد نظارة المعارف تنتقد ذلك على نظارة الحربية ،

ثم يتعجب القارئ من تأليف ضابط مصري كتابا في فلسفة الدين ولا يذهب بتعجبه الا تذكر تفاوت استعداد البشر فان في الضباط المصريين أفرادا من المغرمين بقراءة كتب العلم والدين والتاريخ والمجلات الدينية والعلمية . ومؤلف هذا الكتاب من المستعدين للفلسفة ويالبت تربيته لم تصرفه عما خلق مستعدا له الى غيره . قرأنا مسائل من الكتاب فرأيناها نتائج فكر دقيق ، جاءت من كل نهج سحيق ، بعضها جلي وبعضها خفي لم تقو العبارة على بيانه . ومن مباحث الكتاب طبيعة الفكر الانساني والارادة والعقل وحرية الانسان واستقلاله ... الله والفلسفة الالهية وإيصال القرآن الى السعادة وغير ذلك

الدليل . في موارد أعالي النيل

كتاب جديد كبير الحجم والفائدة صنفه بالانكليزية السر وليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية بمصر ونقله الى العربية ابراهيم مصور بك رئيس الترجمة في هذه النظارة وطبع بمطبعة المعارف طبعا في منتهى الحسن وهو يشتمل — كما كتب في طرته — « على مطالب التعديل والاصلاح . ويليه نبذة لجناب المستر ديبوي مفتش عموم ري السودان شرح فيها خبر رحلته الى بحيرة تسانا وأنهار السودان الشرقي . وفي درج الكتاب رسوم جمة وله ملحقات »

نقول أما الكتاب فهو قسمان وخاتمة وفي القسم الأول منهما ١٢ فصلا في الكلام على بحيرة فكتوريا وبحيرة ألبرت أدوردو بحيرة ألبرت وهي ينابيع النيل وأصوله وعلى نيل فيكتوريا والنيل الأعلى المعروف ببحر الجبل وعلى البحرين الأبيض والأزرق وهما فرعا النيل العظيمين وغير ذلك . والقسم الثاني في « تصرفات الأنهار وممكنات المشاريع » وفيه فصلان . وأما الملحقات ففيها فوائد كثيرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في مشروعات ومباحث مهمة كتعلية جبس أسوان ومشروعي وادي الريان وفرع رشيد ،

وأما الرسوم الشمسية فيه فهي ٤٦ رسما وهناك رسوم أخرى كثيرة منها الملون كخرائط الجغرافية ومنها غير الملون وهي في غاية الاتقان

ومن خدمة اللغة في هذا الكتاب أن مترجمه بالعربية قد فسر في هوامشه الألفاظ التي احتاج الى استعمالها ففي بالبحث عنها ووضعها في مواضعها ولم تكن مستعملة عند كتاب العصر كالمساك بوزن سحاب وهو مكان من النهر تتراصف اليه حطامة الاغصان ورفاض الحطب والعشب وغيرها فتحبس ماءه وتعوق سيره ويعرف بالسد . وكالمفجرة بوزن المقربة قال وهي أرض تطمئن وتنفجر فيها أودية وبالتخصيص فجوة ما بين جبلين وهي الفجة والوادي والغور . وهو يفسر أيضا كل ما ورد في الكتاب من الاصطلاحات والدخيل

وأسلوب الترجمة عربي فصيح قلما تجد لأحد من كتاب هذا العصر ومترجميه مثله وإن لم يخل من بعض ما ينتقد على نابغيهم وهاك هذا النموذج منه في الكلام على بحيرة ألبرت :

« أما بحيرة ألبرت فالحادثات فيها على خلاف ما تقدم ولكن لا مرد لوقوعها وفعلها أكيد . ذلك أن منابع جبل روزوري والفواعل الجوية فيه تؤدي الى تحات جوانبه على الدوام وتفتتها وكل ما ينساب منها من الرفاض (١) تجرفه السيول الى أخاديد (٢) ومضايق ذاهبة به الى نهر سملنكي وهو يرمي بها الى بحيرة ألبرت ومعها مقادير من الطين التي تجتلبها مياهه من أنحائه العليا . هذا وانحدار النهر عند الطرف الجنوبي لبحيرة ألبرت يقل فتخف بذلك جريته فتصبح مياهه وليس لها قوة دافعة تساق تلك المواد فتستقر جميعها في بطاح البلاد المجاورة . وعليه فقد كونت رواسب الأجراف (٣) في الأطراف الجنوبية من بحيرة ألبرت سهلا

(١) رفاض الشيء (كغراب) قشارته وما تحطم منه فتفرق (٢) جمع أخدود وهو الحفرة المستطيلة في الأرض (٣) أجراف جمع جرف (بالضم) وجرف (بضمتين) وهي ما تجرفه السيول وأكلته من الأرض (المعرب)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسيطاً من الأرض يتداخل شيئاً فشيئاً بمياه هذه البحيرة فيرفع منسوب قاعها ولاتزال هذه الرواسب تعمل هذا العمل على التوالي . ومثل ذلك يعمله بحر فيكتوريا في الطرف الشمالي للبحيرة فهو يلقي بالبلوه وأجرافه في البحيرة فتضيق»

فنشكر لواضع الكتاب خدمته لهذه البلاد ولمترجمه خدمته لها ولغتها بما لم يخدمها أهلها

﴿ هذا يلاشي تلك ﴾

لفيلسوف شعراء فرنسا أوشاعر فلاسفتها فيكتور هيجو أو هوجو (أو الاسم بالغين أو الكاف بدل الجيم على ماترى عليه المعربين والمترجمين من الخلاف) مقال عنوانه (هذا يلاشي تلك) وصف فيه مباني الأقدمين وفخامتها كالاهرام وقصر الكرنك وعمود السواري والبادثيون والباثيون ذهب خياله فيه الى فلسفة اجتماعية دقيقة فجعل ذلك رمزاً للسلطة الروحية والسياسية التي استعبد البشر بها الكهنة والملوك وبين ان اختراع المطبعة الذي سهل نشر العلم بين جميع الناس يلاشي تلك السلطة ويذهب العلم بالكنيسة . وانتقد على ذلك بعض الكتاب وحاول بيان أن المطبعة لم تعدم الكنيسة بل خدمتها ورد عليه المترجم ثانية . نشر ذلك في جريدة البصير ثم طبع على حدته

﴿ مطمح الفصحاء ﴾

كتاب ألفه الشيخ علي فؤاد الخزفي في شيء سماه الانشاء وجعله عشرة أقسام في رسائل الود والشوق والعتاب والاعتذار والقطيعة والاستعطاف والرجاء والشكر والتعازي والتهاني وأودعه أربع مقامات وجعل له شرحاً أكبر منه وان شئت فقل انه صنف كتاباً آخر جعله هامشاً له وسماه شرحاً وان كان أكثر ما فيه ليس بشرح ولا مناسبة بينه وبين المشروح في معنى الأصل . مثال ذلك شرحه لبيت الآتي

إني لأبصر من أفعالها عجباً الوصل يغضبها والصد يرضيها

فانه لا يبين المراد من البيت في شرحه وانما يتكلم عن أقسام الفعل في الصرف فيذكر المجردة والمزيدة والملحقة والسالمة والمضاعفة والمهموزة وغير ذلك ؛

كذلك شرحه لبيت الآخر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أكتم الوجد والآلام تظهره هيهات هيهات ذو طب يداويها

فانه لا يذكر في شرحه الا نحو صفحتين في أسماء الأفعال كأنه يشرح كتابا في النحو والصرف

قال المؤلف في فاتحة كتابه « وكل ما فيه من المنشآت ابتكاري ، كما أن بعض ما به من الأبيات اختياري »

« يعرف المرء باختيار وجمع ودليلي على الأديب اختياره »

ونقول انه ليس فيه شيء من الابتكار ، وهاك هذا النموذج مما فيه من المنظوم والمنثور وهو ما قاله في أول قسم الاستعطاف بعد أبيات لغيره

« مهما في التجني علي أفرطت ، وأذقتني بصدك الهوان ، فروحي لمودتك أوهبت ، يا إنسان كل انسان ،

لله أشكو غرامي وما أعاني وألقى

قطعت حبل ودادي ولم أخن لك حقا

وبي تبدلت غيري فالله خير وأبقى

لكن ... عهدي بجميل خصالك ، وقوفي على سبب هجرانك

لئن كان بالسلوان عني عواذلي لكم حدثوا والله قد كذبوا بما

عن الحب والعهد القديم وودكم وحق الهوى ما ضل صاحبكم وما

لمهجتي الشجو أورثت ، ولعيني السهد وهبت ، والي الارق بعثت ، ولقلبي قد روعت

فزاد اشتياقي وقل اصطباري ولم أستطع في هواك المجموع

فؤادي أسرت قيادي ملكت اما آن عفوك عن صادق

سميع مطيع مشوق ولوع

حذار العذول كتمت وجدي يا خير مأمول عدمت رشدي

فمن على بزد الجواب وحقك اني به لقنوع

دامت لك عليك ولا أعدمني الله محياك والسلام » اه

ولا يحسبن القارئ انا تعمدنا نشر أدنى ما في الكتاب بعد البحث عنه بل هذا من أحسنه فان أسماء بنا الظن أوردنا له أبياتا كتب بها الى صديق آخر وهي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أيا من فاق أهل العصر طرا بما أبداه من شرف الطباع
أسأت اليك فاستوحشت مني وأبدلت التواصل بانقطاع
فصرت أقارع الأهوال ضنكا وأنتف شعر رأسي من مجاعي
وأصرخ في (الشوارع والحواري) بأصوات كأصوات الضباع
وأذري دمع عيني فوق خدي ومن أسفي أعض على صباعي
ولما أن رأت عيناي موتي وان الروح مني في النزاع
أتيت اليك معترفا بذنبي ورجلي فوق كتفي بانخضاع
أؤمل فيك انك تعف عني لأنك بحر جود ذو اتساع
فألقني بفضلك ندي عفو لاشفي القلب منه بالرضاع

هكذا جاءت هذه الابيات في الكتاب فلا تظن ان مطبعتنا حرفت فيها أو صحفت

ههنا يقول القاري: مابال المنار أطال في الكلام على هذا الكتاب وخالف عادته في مثله وانا أقول له: ان السبب في ذلك التعريف بمكانة كتاب كتب مصنفه في أوله انه ورد اليه ٢٦ تقريظا له من أكابر العلماء وافاضل الشعراء وذكر منها تقريظا للشيخ سليم البشري الذي هو شيخ المالكية اليوم وكان شيخ الأزهر بالامس يشهد فيه للكتاب بأنه مفيد نافع

وتقريظا للشيخ محمد بخيت الحنفي المشهور يقول فيه « وبعد فقد أطلعت على كتاب مطمح الفصحاء بل مرتع البلغاء فوجدت من بحور الادب درر منظومة في سلوك الذهب تزري بقلائد العقيان في نحور الحسان كيف لا وقد حوى من النثر أغلاه ومن الشعر أعلاه فجزا (كذا) الله مؤلفه أحسن الجزاء واكثر من أمثاله النبلاء وجمل به وجه هذا الزمن ونفع بمؤلفه الأمة والوطن آمين »

وقد كان حظه من كبير الجرائد كحظه من أكابر العلماء فان جريدة المؤيد قرظته تقريظا جعلته فيه منتهى البلاغة . . . افيلام المنار بعد كله أن أطال القول فيه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ نخب من مبتكرات مكسيم غوركي ﴾

مكسيم غوركي من كتاب الأمة الروسية قد اشتهر بما كتب من المقالات والرسائل في الاصلاح السياسي والاجتماعي وله أسلوب رشيق وكثيراً مايبرز المعاني في قوالب الوقائع . وقد اختار سليم أفندي قبعين وهو من أدباء السوريين العارفين باللغة الروسية — أربع مقالات لهذا الكاتب وترجمها بالعربية وطبعها فبلغت صفحاتها ثمانين صفحة ونيفا . عنوان المقالة الأولى (الملك الرافع اللواء) وعنوان الثانية (أحد ملوك الجمهورية) وعنوان الثالثة (فرنسا الجميلة) وعنوان الرابعة (اليهود) وثمن هذه النخب ٣ قروش صحيحة

غرائب الاسرار — جاسوس الالزاس

غرائب الاسرار قصة مؤلفة من أجزاء ترجم الجزء الاول منها واسمه (جاسوس الالزاس) حسن أفندي موسى (ضابط بالاستيداع) فأما وقائع الجزء فهي تكاد تكون في غرابتها من الخوارق أو الشعوذة وفيها من الرموز والاسرار مايشوق النفس الى الجزء الثاني لتقف على حل تلك الرموز وكشف هاتيك الاسرار . وأما الترجمة فهي أقرب الى العامية منها الى العربية الصحيحة . وصفحات الجزء الذي طبع ١١٢ وثمنه خمسة قروش

﴿ الفضيلة والرذيلة ﴾

قصة أدبية غرامية من تأليف جورج أونيه أحد كتاب الفرنسيس وترجمها بالعربية محمد أفندي كرد علي منشئ مجلة المقتبس وأحد محرري المؤيد . وموضوعها علم الادب (الكتابة والشعر) والادباء في فرنسا فهي مساجلات ومنافسات بين فئة من الادباء والأديبات ، وقلما تجد شيئاً من ذلك في الكتب المترجمة بالعربية فالقصة تفيدك مالا تكاد تعرفه من كتاب اخر في اخلاق الأدباء وعاداتهم ومكانة الأدب عندهم وتأثيره فيهم . وقد طبعت القصة بمطبعة الشعب وتطلب من مكتبتها وثمنها ١٥ قرشا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ المجرم البرىء ﴾

قصة فرنسية الاصل ترجمها محمد أفندي كرد علي لمجلة مسامرات الشعب وطبعت في أربعة أجزاء من أجزائها وهي على كونها قصة غرامية تشرح للقارىء مسألة شرعية قانونية من أهم المسائل وهي الاعتماد على القرائن القوية في إثبات الجنايات والحكم بمقتضاها والخلاف في ذلك معروف فمن لا يبيح الحكم بالقرائن يقول انها قد تكون قطعية في الظاهر وهي لا حقيقة لها في الواقع وهذه القصة تؤيد هذا القول فهي تمثل ذلك في أولها رجلا عدا على آخر في بيته فقتله وأخذ ما أخذ من ماله وكان المال قراطيس لا معدنا وقد رآه من داره وهو متلبس بقتل جاره كل من زوجه وبنته وخادمتها وكان ذلك ليلا والا وار في بيت القتيل متألقة ولما عاد الى داره وكان قد تأخر خلافا لعادته عاد شعثا مضطربا ولم يستطع الى النوم سبيلا ولما اتهم كان مما ظهر في التحقيق ان الاوراق المالية التي فقدت من القتيل وجدت في صندوقه وهو لم ينكر ذلك . والحق أنه لم يكن هو القاتل وان هذه القرائن والدلائل وغيرها مما لم نشر اليه كلها شبهات تشرح القصة حقيقتها بعد شرحها بالاسهاب

﴿ محمد علي ﴾

قصة تاريخية غرامية في محمد علي باشا من أول نشأته الى أن استقر له أمر الحكم في مصر ألفت بالألمانية وترجمت بالانكليزية ثم ترجمها عن الانكليزية بالعربية نسيب أفندي المشعلاني بطلب ادارة الهلال وعلى نفقتها طبعت ومن مكتبتها تطلب . وقد سلك مؤلف القصة في بيان نشأة محمد علي مسلكا فلسفيا بين فيه أنه قد أوتي منذ صغره الاستعداد الفطري للرياسة وجاءت الحوادث مربية لهذا الاستعداد حتى بلغ منتهاه . والقصة في جملتها مفرغة في قالب مقبول ونسقها معقول غالبا يقل فيها الغلو المنتقد كزعم الانتقال من قرب دمنهور الى قرب الاهرام في صحراء الجيزة في ليلة أو بعض ليلة

﴿ الجامعة الاسلامية وأوربا ﴾

رسالة لرفيق بك العظم المشهور بمباحثه التاريخية والاجتماعية سننشر بعض فصولها في الجزء الآتي من المنار ان شاء الله تعالى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الامين والمامون

هي الحلقة الحادية عشرة من سلسلة القصص الغرامية التاريخية التي يؤلفها جرجي أفندي زيدان وينشرها في الهلال وتشتمل على ماقام بين الامين والمأمون من الخلاف بعد وفاة والدهما الرشيد وقيام الفرس لنصرة المأمون حتى فتحوا بغداد وقتلوا الامين وأعادوا الخلافة الى ابن اختهم (المأمون) ويتخلل ذلك وصف دخائل السياسة بين العرب والفرس وما يقتضي المقام ذكره من الآداب الاجتماعية والعادات والاخلاق » . ومما يشرحه فيها ان الفرس كانوا معتصمين بالعصبية الجنسية متعمدين إزالة الملك من العرب وجعله فيهم وإقامة خليفة من العلويين يكون آلة دينية في أيديهم وان الكثيرين منهم كانوا يظهرون الاسلام ويخفون المجوسية ليتمكنوا من مخادعة المسلمين عربهم وفرسهم . فذكرنا هذا بالعصبية الجنسية التي محاها الاسلام وأماتها فأحياها بعض المنافقين فكان من شرها ما كان ويريد إحياءها في هذا العصر بمصر باسم الوطنية بعض المفتونين بالشهرة فنسأل الله ان يقي الاسلام والمسلمين شرها لأن التفريق في هذا العصر ينتهي بهلاك جميع المسلمين لانتصاب جنس منهم على جنس آخر كما كان من قبل

رحلة ابن جبير البلنسي الاندلسي

نشر فاني هذا الجزء أثارة تاريخية من هذه الرحلة وسننقل غيرها وهي رحلة جليلة ذات فوائد جمة طبعها ثانية العالم المستشرق كوريج في هذا العام طبعا متقنا على ورق جيد وناهيك باتقان الافرنج وعنايتهم بالضبط وما يضمونه للكتب من فهارس الاعلام والمواضع التي تسهل المراجعة والاستفادة وأهدى الينا نسخة منها مجلدة تجليدا حسنا فنشكر له نشره آثار سلفنا وخدمته هو وأمثاله للغتنا

الصراط — مجلة جديدة تطبع في الاسكندرية وقد كتب عليها « مجلة أخلاقية أدبية علمية تاريخية تصدر في الشهر مرتين بمعرفة جمعية محامد الأخلاق بالاسكندرية » . قيمة الاشتراك سنويا عشرة قروش صاغ ولتلامذة المدارس خمسة قروش » وهي قيمة قليلة وان كانت صفحات الجزء من المجلة لاتزيد على عشرين صفحة فنتمنى ان يكون هذا الصراط موصلا الى الفوائد النافعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

باب الأخبار والآراء

﴿ المسألة المراكشية وحرب الدار البيضاء ﴾

كتبنا في السنة الأولى للمنار نصيحة فيه لسلطان مراكش أنذرناه فيها بأن طوفان أوربا لابد أن يفيض على بلاده فيغمرها ان لم يبادر هو الى إصلاح شأنها بما تقتضيه حال العصر من التربية والتعليم لاسيما تعليم الفنون العسكرية والمالية. ثم كنا نعيد النصائح والنذر مرة بعد أخرى وآخر عهدنا بها ما كتبناه في أيام انعقاد مؤتمر الجزيرة من العام الماضي (١٠ : ١٠١) وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) بالاسباب والمسببات وسنن الله تعالى في الامم وانما يعتمدون في دفع الضر وحفظ المصالح على الخوارق وكرامات الاولياء مع مادرجوا عليه من التقاليد والعادات لا يقبلون وراء ذلك إصلاحا، ولا يبتغون بدونه فلاحا، وقد سبق لنا بيان التجائهم الى قبر مولاي إدريس وجوار أهل العلم الذي عنده بكلمة « باللطيف » ليدفعوا بذلك ماطلبته فرنسا من السلطان يومئذ فليرجع الى ذلك في المجلد الثامن من اراد

مرت الأيام والسنون وأهل هذه البلاد يفتنون في كل عام مرة أو مرتين، أو مرات « ثم لا يتوبون » من تفريطهم وغرورهم « ولا هم يذكرون » ماحل بأمثالهم من الأمم والشعوب الجاهلية بحال هذا العصر ورقي أممه وما يجب من اعداد القوة لمدافعتها اذا عدت بحسب الاستطاعة وعلى قدر ماهي عليه من الاستعداد وكل ذلك مما يرشد اليه الاسلام ويفرضه بنص القرآن ولكن اين أولئك الجاهلون من الاسلام والقرآن وهم يعتقدون أن قراءة تفسيره تميت السلطان وحياته عندهم أولى من احياء القرآن، ثم ماذا تفيدهم قراءته اذا كانوا يعتقدون ان الاهتداء به من الاجتهاد الممنوع بحكم شيوخ التقليد الجامدين، وان الدين لا يؤخذ الا من كتب الفقهاء الميتين، كما يفهمها أصحاب الجاه من الشيوخ الحاضرين، وهم يرون ان العلوم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والفنون والصنائع التي بها تصنع آلات القوة كالبنادق (ويسمونها المكاحل) والمدافع والبوارج الحربية كلها محرمة لا يجوز للمسلمين الاشتغال بها كما يرى ويعتقد ذلك أشباههم من أصحاب العمائم في أكثر بلاد المسلمين، وبذلك أضاعوا الدنيا والدين، وكانوا سبب هلاك المسلمين»

مرت الأيام والسنون فدخلت (مسألة مراكش) أي مسألة محاولة أوربا استعمارها والاستيلاء عليها في طور جديد فقد اعتدى بعض المغاربة على العملة الأوربيين في مرفأ «الدار البيضاء» وهي من حواضر مملكة مراكش ففتح بذلك لفرنسا باب استعمال القوة في هذا الثغر فدخلت منه وذلك ما كانت تبغي

أصبحت فرنسا مع قبائل المغرب في حرب تعددت وقائعها فالقبائل تهاجم الدار البيضاء فتلاقيها العساكر الفرنسية بمدافعها ومن ورائها البوارج تساعدها بمدفعها فتمزق شمل القبائل وتنسفهم في الهواء نسفاً ولكن الفرنسيين قد دهشوا من شجاعة المغاربة واستبسالهم فسلطوا عليهم عسكرهم من مسلمي الجزائر لعلمهم بأنه لا يفل الحديد الا الحديد وقد ترك المغاربة الهجوم الى حيث تنالهم مدافع البحر

مهما عظمت شجاعة المغاربة فإنها والجهل قائدها لا تكفي لحفظ استقلال البلاد ولا تدفع عنها ما تريد فرنسا منها فان الجهل لا يغلب العلم والاختلال لا يعلو النظام فاذا كان أهل المغرب الاقصى أسوداً فان العقلاء من البشر قد عهد منهم التصرف في الاسود وحبسها في بلاد هي مواطنها وما عهد أن تعيش فيها وجعلها مع ذلك في مواضع النزهة يأنس برؤيتها حتى النساء والولدان . نعم ينتظر أن تتعب فرنسا في تذليلهم كما تعبت في الجزائر ولكن العاقبة للمتقين كما قال الله تعالى والتقوى تفسر في كل مقام بحسبه فهي تفسر في باب الحرب والصدام باتقاء أسباب الانكسار والخذلان ولا شك أن فرنسا هي المتقية ما يجب اتقاؤه في هذا المقام بالتدبير التام وإعداد ما تستطيع من قوة كما أمر الله تعالى

ومن التدبير الذي يتخذه العقلاء ولا يدري به الجهلاء وهو من قبيل السبل يضرب جلموداً بجلمود ايقاع الشقاق بين الزعماء في المغرب وما وقف ذلك عند حد الخارجين على السلطان والمحاربين له بل قامت طائفة عظيمة من الأمة فبايعت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالملك مولاي حفيظاً (أوعبد الحفيظ) أخا السلطان عبد العزيز بفتوى من العلماء فصار في البلاد سلطانان سيحارب كل منهما الآخر فيكفون فرنسا شر قوة البلاد

يظن كثير من الناس أن السلطان عبد العزيز سيلجأ الى فرنسا لتحفظ له سلطانه وتكفيه شر أخيه كما لجأ توفيق باشا الى انكلترا في إبان الثورة العرابية وبذلك تحتل فرنسا بلاد مراكش احتلالا رسميا يسمى موقتا وتعمل عملها فيها باسم السلطان كما تحكم تونس باسم الباي وهذه هي الطريقة التي استقر عليها رأي ساسة أوربا في استعمار بلاد المسلمين لان حكمهم باسم أمرائهم وملوكهم أقرب الى السلام وأبعد عن النزاع والخصام

انه ليحزننا أن نرى مملكة اسلامية في الشقاء الذي أحاط بمملكة مراكش ولا يسرنا أن تبقى على ماهي عليه أوعلى ما كانت عليه اذا كان ما انتابها الآن مبدأ للانتقال من حال الى حال

وانه ليحزننا أن يكون انتقالها بقوة الاجانب لا بتدبير رجالها وحكمتهم ولكننا لانرى منفذا لخيط من خيوط أشعة الرجاء في أولئك الرجال الجهلاء فباطالما نصحنا لهم وأنذرناهم البطشة الكبرى (٥٤ : ٣٦ فتماروا بالنذر) بل كان مثلنا ومثل سائر الناصحين معهم (٢ : ١٧١ كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون)

ان أهل العقل والعلم من طلاب الاصلاح للمسلمين تتمنى قلوبهم لو يدوم لسلطنة مراكش استقلالها ويتحول طوفان أوربا عنها حتى يكون اصلاح حالها من نفسها ولو بعد حين ولكن عقولهم تحكم بأن هذا شيء لا مطمع فيه وتدرك ان من العدالة العامة في الاكوان ومن سنن المبدع في اجتماع الانسان أن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (راجع سورة الانبياء ٢١ : ١٨) وأن الارض يرثها عباد الله الصالحون أي لعمارتها (راجع آية ١٠٥ من السورة المذكورة) ولا شك أن العلم بالنظام وبطرق العمران وتأمين السكان من الحق وهو مما يقوم به الاوربيون وان ما عليه المغاربة من ضد ذلك هو من الباطل . وان الاوربيين يعدون بالنسبة الى المغاربة من الصالحين لاستعمار الارض التي امتن الله علينا به كما قال تعالى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(١١ : ٦١ هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها) فكان الكتاب العزيز مؤيداً لحكم العقل في وجوب زوال استقلال المغاربة وكل دولة لا تحسن الاستعمار ولا تقيم النظام الا أن تتوب وتقيم الميزان بعد الاستعداد له بما تقتضيه حال الزمان. ولا يظهر صدق الآية الكريمة في أرث الارض الا بهذا التفسير ولنا فيه سلف صالح فهو منقول لا مخترع

إن حكم الفرقان والقرآن بأن دول العلم والنظام والاستعمار هي التي تسود على دول الجهل والخلل والافساد في الارض هو الذي يخفف من ألم حسرة العقلاء على زوال استقلال دول المسلمين ولا أقول دول الاسلام فان من يقضي القرآن بزوال دولته لا تكون دولته اسلامية ولكن قد تكون مسلمية وبهذا نبرىء الاسلام بحق من مناقضة أصول العمران العلمي ونجعل ذلك على أعناق المسلمين

﴿ غرور متعلمي اللغات الاوربية ﴾

ان أصحاب العقول الصغيرة من متعلمي اللغات الاوربية يتخيلون ان كل من تلقف لغة منها صار من العلماء الاعلام والحكماء المرشدين للأنام ولكن هؤلاء المتعلمين يعدون بالألوف ولا نكاد نجد واحداً منهم في الألف يفيد أمته بكتاب يفضل به غير العارفين بهذه اللغات وانا نرى أكثر ما يكتب كاتبوهم في الجرائد أو غيرها في منتهى السخف وضعف الفكر والسبب في هذا أن اللغة الاوربية وسيلة العلم ليست هي عين العلم ولا عين العقل الذي لا علم بدونه ولا فهم

اذا وجد في متعلمي هذه اللغات أفراد كفتحي باشا زغلول وقاسم بك أمين لهم آثار في الترجمة والتصنيف تدل على أنهم استفادوا من اللغة الأوربية علما وبصيرة فانه يوجد فيهم ألوف لم يستفيدوا الا الغرور والتبجح والدعوى ومنهم من أضاع ثروته الموروثة وأهان نفسه وذوي قرابته بسوء سيرته وما كانت اللغة الاجنبية التي يعرفها الا عوناً له على اضاعة ماله وشرفه ثم هو يفاخر باللغة وعلومها ويحتقر علوم العربية من دينية وغيرها ويحط من قدر أهلها

للاستاذ الامام آثار جليلة كتبها قبل ان يتعلم اللغة الفرنسية كمقالات الوقائع المصرية ومقالات العروة الوثقى وقد كان ما يكتبه بعد تعلم هذه اللغة أدل على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كثرة الاطلاع والسعة في العلم ولكن هل يوجد في هؤلاء الألوف من المتعلمين من يستطيع أن يكتب مثل تلك المقالات التي كان العالم يهتز لها حتى ان انكلترا ذات الحرية الواسعة منعت العروة الوثقى من مصر والهند . ولا غرو فان العقول التي وسعت دائرة العلوم باللغات الأوربية حتى صارت هذه اللغات تتعلم لأجل ذلك يوجد مثلها في الأمة العربية وفي غيرها من الأمم . وقد كان السيد الكواكبي غير عارف باللغات الأوربية ولكن ما كتبه في الاستبداد لا يوجد في فلاسفة أوربا كثيرون يكتبون أحسن منه أو مثله بله الذين يعرفون لغات أوربا وليس لهم من علومها سهم يعتدّ به .

وما لي لا أضرب لهؤلاء المغرورين الأمثال الا بمن ماتوا فهذا رفيق بك العظم فليأتونا بكثير من مثله من متعلمي اللغات الأوربية . وهذا صاحب جريدة المؤيد لا يختلف عاقلان في تفضيل ما يكتبه وهو لا يعرف لغة أجنبية على ما يكتب صاحب جريدة اللواء العارف باللغة الفرنسية

فليخفض المغرورون برطانة اللغة الاجنبية من غرورهم فان الناس تتفاضل بالعقول لا باللغات فذو العقل الكبير قد يقتبس العلم من الوجود كما اقتبسه جميع الفلاسفة وان للعاقل الشرقي من موارد العلم الغربي كتباً كثيرة ومجلات مترجمة يستفيد منها مالا يستطيع صاحب العقل الصغير ان يستفيده من ينابيعها وأصولها . نعم ان صاحب العقل الكبير اذا اطلع على تلك الأصول يكون أوسع علما منه قبل الاطلاع عليها وان الأمم الشرقية لا تستغني عن طائفة من الأذكياء ينفرون لاقتباس تلك العلوم من لغاتها ونقلها الى قومهم كما أنها لا تستغني عن طائفة يحيون لغتها وعلومها الدينية والأدبية والتاريخية ولا يجوز تفضيل أفراد إحدى الطائفتين على الأخرى لان كلا منهما يخدم الأمة بما لا بد لها منه فان جاز التفاضل كان تفضيل من يشتغل لإحياء الأمة بمقوماتها الاصلية من اللغة والدين والعلوم على من يجلب لها علوماً من غيرها أظهر لان فقد العلوم الاجنبية عنها نقص وفقد مقوماتها الذاتية موت وفناء

فهل بقي بعد هذا البيان من عذر لبعض الأغرار المفتونين بما لقفوا من العلم الناقص بلغة أجنبية في تنقيص العلماء بدينهم ولغتهم وتاريخهم اذا كانوا لا يرطنون معهم بتلك اللغة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على ان وراء العلم الذي تعد اللغات وسائل له أمراً آخر هو مناط الافادة بالعلم لمن يحصله وهو مكارم الأخلاق كالصدق والإخلاص والاستقلال والعزيمة والشجاعة والعفة وغير ذلك من الفضائل فاذا أغضينا عن الذين يتعلمون بعض لغات العلم ولا يستفيدون من العلم نفسه الا حثالة من قشوره ونظرنا في حال الذين يقال انهم أوتوا نصيباً من العلوم نجد الكثيرين منهم قد شغلتهم شهواتهم وأهواؤهم عن بث ما استفادوا في قومهم وعن الاستزادة منه وعن العمل به على الوجه النافع فالعلم لأمثال هؤلاء كالسيف في يد المجنون يخشى ضره ولا يرجى نفعه للأمة

﴿ حياة المعارف في مصر ﴾

دخلت المعارف بمصر في حياة جديدة على عهد سعد باشا زغلول فأسس مدرسة القضاء الشرعي التي وضع مشروعها الاستاذ الامام وستفتح أبوابها للطالبين الذين نجحوا في الامتحان في الشهر الآتي وهذه أعظم خدمة للاسلام في هذا العصر وأعاد التعليم المجاني وجعل من المزايا لمن يتعلمون فن التعليم ما يرغبهم فيه ككونهم يتعلمون مجاناً ويتغدون في المدرسة ومنهم من يأخذ مرتباً شهرياً وهم أصحاب القسم الثاني من تلاميذ مدرسة المعلمين الخديوية وأرسل البعوث الى أوربا لتلقي العلوم العالية في انكلترا وبها في البلاد بعد عودتهم فائزين ان شاء الله تعالى وهذه البعوث أكثرها من الذكور وبعضها من الاناث وقد انتقد ارسال بعض البنات الى أوربا من اتخذوا تقبيح أعمال الحكومة دلائل على حبهم للوطن وأهله لعلمهم أن السواد الاعظم لا يزال من الجهلة الذين يعدون تعليم البنات من المنكرات فهم يحتجون على قبح ارسال البنات الى أوربا بكونه مخالفاً لرأي الامة ولو أن الحكومة اتبعت رأي الامة من عهد محمد علي الى اليوم لما تعلم أحد من أبنائها ولا بناتها كلمة في غير تلك الكتاتيب القديمة والازهر

ان جميع عقلاء الامة العارفين بما ينفعها ويضرها متفقون على ان تعليم البنات ركن من أركان الحياة أو شرط لحصولها أو كمالها نعم انهم يختلفون في قدر ما ينبغي أن تتعلمه البنات ورأي كثير من المعتدلين أن التعليم الابتدائي كاف لهن وأنه لا حاجة أو لا ضرورة الى تعليمهن لغة أجنبية . ولكن هذا الرأي خاص بالتعليم العام وهو لا يعارض وجوب تعليم من تتعلم لتكون معلمة في المدارس على سائر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المعلمات فان من لا يتجاوز علمها ما يلقى في المدارس الابتدائية لا تصلح أن تكون معلمة فيها . ثم اننا مادمنا عالة على الافرنج في علومنا ومدنيتنا ومادام أمر حكومتنا ومنها ادارة معارفنا في أيديهم أو تحت اشرافهم فلا بد لنا من معلمين ومعلمات من أهل العلم الاوربي الذين يتلقونه من معدنه عن أهله بلغته حتى لا تقوم علينا حجة القوم بأنه ليس فينا أكفاء يتولون التعليم لاسيما تعليم البنات . فارسال بعض البنات اللواتي يرغبن من وأولياؤهن بأن يكن معلمات في المدارس الى أوربا لتلقي العلوم فيها هو الوسيلة الى اغناء نظارة المعارف عن المعلمات الاوربيات لا وسيلة سواها وينبغي أن يخترن من البيوت التي حسنت تربيتها بالدين والأدب على أن الامة اذا سرت فيها الحياة المعنوية سريانا تاما فانه لا بد أن يوجد فيها من البنات من ينهض بهن استعدادهن الى تلقي العلوم العالية وليس من اعتدال المعتدلين أن يمنع هؤلاء من ذلك بعد العلم بصدق الرغبة وقوة الاستعداد فقد كان في الامة الاسلامية أيام حياتها الاولى كثيرات من المشتغلات بالعلوم الكمالية التي هي من فروض الكفايات التي لا يقوم بها الا بعض الرجال حتى رواية الحديث بالاسانيد والتصدي للتحديث

خطبة الشيخ محمد شاكر وتنديده بلورد كرومر

أرسل الينا الشيخ محمد شاكر شيخ علماء الاسكندرية خطبته التي قرأها في مجمع الاحتفال بتوزيع المكافآت على نجباء الطلبة فاذا هو قد اقتبس في فاتحتها معنى بعض آيات الجهاد واذلال الله الجبابرة للمجاهدين وإيراثهم أرضهم وديارهم حتى كأنها خطبة قائد جيش فتح أو يحاول فتح الممالك وقد بينا رأينا في الخطبة من خمس جهات — كونها من عالم رسمي وكونها من رجل يعد من بطانة الأمير والمقربين منه وكون التنديد بكلام لورد كرومر تأخر عن وقت الحاجة وكونه جاء بعد تصريح اللورد بأنه لم يرد فيما كتبه عن مبادي الجامعة الاسلامية الدين الاسلامي نفسه فهذه أربع والخامسة قيمة كلام الخطبة في نفسه وهل يصلح دفعا للشبهات التي تضمنها كلام اللورد على الفقه الاسلامي كما قال أو على الاسلام كما يريد الشيخ شاكر وأمثاله ؟ ولكن هذا الجزء لم يتسع لما كتبناه فاشرنا اليه بهذه الكلمات